

الأستاذ الدكتور
يحيى وهيب الجبوري

النساء الحاكمات من الجواري والمملكات



منتدى سور الأزبكية

WWW.BOOKS4ALL.NET

النساء الحاكمات

من الجوّاري والمملكات

النساء الحاكِمات من الجوّاري والمملكات

د. يحيى الجبوري



حقوق التأليف محفوظة، ولا يجوز إعادة طبع هذا الكتاب أو أي جزء منه على أية هيئة أو بأية وسيلة إلا بإذن كتابي من المؤلف والنشر.

الطبعة الأولى

2010 - 2011 م

المملكة الأردنية الهاشمية رقم الإيداع لدى دائرة المكتبة الوطنية (2010/5/1810)

الجبوري، يحيى وهيب

النساء العاكبات/ النساء العاكبات من الجبوري والملكات/ يحيى وهيب الجبوري. - عمان:
عمان: دار مجدلاوي للنشر والتوزيع، 2010

() ص.

ر.أ: (2010/6/1810)

الواصفات: الشعر العربي//الأدب العربي

* أعدت دائرة المكتبة الوطنية بيانات الفهرسة والتصنيف الأولية
* يتحمل المؤلف كامل المسؤولية القانونية عن محتوى مصنفه ولا يعبر هذا المصنف عن رأي دائرة
المكتبة الوطنية أو أي جهة حكومية أخرى.

(ردمك) 5 - 405 - 02 - 9957 - ISBN 978

Dar Majdalawi Pub.& Dis.

Telefax: 5349497 - 5349499

P.O.Box: 1758 Code 11941

Amman- Jordan



دار مجدلاوي للنشر والتوزيع

تيلفكس: ٥٣٤٩٤٩٧ - ٥٣٤٩٤٩٩

ص. ب. ١٧٥٨ قريز ١١٩٤١

عمان - الأردن

www.majdalawipublishing.com

E-mail: customer@majdalawipublishing.com

➡ الآراء الواردة في هذا الكتاب لا تعبر بالضرورة عن وجهة نظر الدار الناشرة.

الفهرس

الموضوع	الصفحة
أولاً: الجوّاري الحاكمات في العالم الإسلامي	7
كثرة الجوّاري في قصور الخلفاء والأمراء:	10
دور الجوّاري في الحياة:	15
كثرة الخلفاء من أبناء الجوّاري:	16
الجوّاري في قصور الخلفاء:	19
ثانياً: نساء حاكمات	21
1- قبل الإسلام	
بلقيس ملكة سبأ	21
الزُّبّاء: ملكة تدمر	27
دلوكة بنت الزبّاء	35
النضيرة بنت الساطرون	39
2- بعد الإسلام: سجاح بنت الحارث التميمية	41
الخيزران	45
كثرة الخلفاء من أبناء الجوّاري:	50
بدونة زوجة توفيل ملك الروم	61
فضل الشاعرة اليمامية	63
قبيحة	69
شغب أم المقتدر العباسي	75
صبيحة	83
ست الملك الفاطمية	89
أخت الحاكم بأمر الله	

95	تفانو ملكة الروم زوجة أرمانوس ملك الروم
99	تركان خاتون زوجة السلطان ملك شله إلب أرسلان السلجوقي
101	زمرد خاتون بنت جاوي صاحب مدينة الموصل
103	زمرد زوجة الأمير طغتكين بن أيوب الأيوبي صاحب بلاد اليمن
105	راضية
113	تركان خاتون من قبيلة بيارون من فروع بك
115	شاهان مولاة المستنصر بالله
119	شجرة الدر جارية الصالح أيوب
125	بيرخان بنت الشاه طهماسب
129	المصادر والمراجع
133	فهرس الأعلام
142	الكتب الصادرة للمؤلف

أولاً:

الجواري الحاكمات في العالم الإسلامي

لقد حكمت مجموعة من الجواري ولقيت بلقب سلطنة، منهن شجرة الدر ملكة مصر- التي استولت على الحكم سنة 648 هـ شأنها في ذلك شأن أي قائد عسكري يفرض نفسه بحسه الاستراتيجي، فقد قادت جيوش المسلمين خلال الحروب الصليبية من انتصار إلى آخر فهزمت الجيش الفرنسي وأسرت ملكهم لويس التاسع.

ومن النساء الحاكمات: الخيزران التي احترفت السياسة ولعبت دوراً مغايراً لنساء الحريم، فقد مارست السياسة عبر عدة خلفاء منهم زوجها وأبنائها، وحكمت الإمبراطورية بأكملها.

وكذلك حكمت الجارية شغب أم الخليفة المقتدر التي توفيت سنة 312 هـ وهي من أصل رومي. وقد اتسمت حياة النساء الحاكمات، بالغدر والقسوة والتآمر والقتل، وإذا ألقينا على سيرتهن نظرة سريعة نجد الآتي:

إن بلقيس ملكة سبأ التقت بالنبي سليمان وذكرت في القرآن، كان أبوها ملكاً من ملوك اليمن مات دون وصية فخلفه ابن أخيه في حكم اليمن وكان ضعيفاً سيء السيرة، احتالت بلقيس ودبرت مكيده فقتلته وتسلمت الحكم في بلاد اليمن، أما الزباء ملكة تدمر فكانت مشيرة لزوجها ثم وصية على أولادها، فتسلمت الحكم وقادت الجيوش وقاتلت الأعداء، حتى وقعت في الأسر فأنهت حياتها بتجرعها السم. أما دلوكة بنت الزباء فقد عملت مملكة مستقلة للنساء لا نصيب للرجال فيها، وكان من أمر النضيرة بنت الساطرون أن حاربت كسرى سابور، ولكنها لما رأته جميلاً وسيماً عشقته وتزوجته فخانت قومها. وكان مصرها مصر من يخون أهله فلم يأمنها سابور وكان مصرها القتل تحت حوافر الخيل، أما سجاح التميمية فقد ادّعت

النبوة وتبعها قومها من بني تميم، وقادت القبيلة في الحروب، ولكنها وقعت في شباك مسيلمة الكذاب فتزوجته، وحارب مسيلمة المسلمين فقتل، وبقيت سجاح متحيرة حتى أسلمت مكرهة.

أما الخيزران الجارية زوجة الخليفة المهدي وأم هارون الرشيد فقد تسلمت السلطة في زمن ابنها وكان لها الأمر والنهي، وقد أملت على المهدي أن يكون أبناؤها ولاة للعهد دون أبنائه من زوجته الارستقراطية ربطة، ولما ولي العهد ابنها موسى الهادي ولم ترض بسياسته، دبرت قتله ليكون ابنها هارون الرشيد مكانه، وصفت لها الأمور وكانت هي الحاكمة المتحكمة، ولم يكن لابنها الرشيد إلا الاسم دون الرسم، حتى لفها الموت.

وكانت بدونة زوجة توفيل ملك الروم قد حكمت وحاربت المسلمين، وكانت صليبية متعصبة، وتفتخر بأنها أسرت ستمائة امرأة من المسلمين، وقتلت مجموعة كبيرة من الرجال والأطفال. أما فضل الشاعرة جارية المتوكل فكانت تصدر المجلس بحضور المتوكل وتباري الشعراء، وكلمتها مسموعة مطاعة. وكذلك كانت قبيحة جارية المتوكل وأم المعتز من أكثر النساء نفوذاً وتسلاً، ولما علمت بأن المستعين سيتولى الخلافة دون ولدها، كتبت إلى أحمد بن طولون أن يأتيها برأس المستعين، فتردد ثم قتله الأتراك، وأراد الأتراك روايتهم من ابنها المعتز، فلم يكن لديه ما يكفي، وطلب المال من أمه قبيحة فبخلت، وقتل ابنها وهي تملك الخزائن العامة. أما الجارية شغب زوجة المعتضد، فلما توفي زوجها وصار ابنها المقتدر وهو طفل سيرت أمور الدولة وكانت تجلس مع الفقهاء والقضاة للنظر في عرائض الناس، وكانت تعين الوزراء وتعزل من تشاء، وتصادر أموال الوزراء والأعيان، وكان الوزراء يقدمون لها الرشاوى ليستمروا في السلطة، ومثلها صبيحة التونسية زوجة الحكم المستنصر، كانت تدير أمور الدولة في حياة زوجها المنصرف للعلم، وتتق بمعاونتها محمد بن أبي عامر، فلما توفي زوجها ورث ابنها هشام الحكم وهو مازال طفلاً، فتسلمت أمور الحكم، وأول عمل عملته هو قتل المغيرة الذي ينافس

ابنها في الحكم، ثم القضاء على سلطان ابن أبي عامر الذي تنكر لها. وكانت ست الملك الفاطمية من أشد النساء قسوة، فقد قتلت أخاها الحاكم بأمر الله، وقتلت من قتله وتعاون معها، وكانت تنصب الوزراء وتعزلهم وكلمتها هي المسموعة في الدولة. وكان من قسوة تفانو ملكة الروم أن قتلت زوجها أرماتوس، ثم تزوجت الملك نقفور الذي أراد أن يخفي أولادها حتى لا يرثوا الحكم فأرسلت من قتله، ثم تزوجت الملك يانس، ولم تأمن جانبه فسقته السم، وتركها خاتون مات زوجها وكان ابنها طفلاً، فأخفت تركان موت زوجها وجمعت العساكر لمبايعة ابنها، ودرت أمور الدولة وقادت الجيوش لمحاربة خصومها. وقتلت زمرد خاتون ولدها شمس الملوك إسماعيل فدست له السم لظلمه فيما تزعم، وتزوجت عباد الدين زنكي ثم طلقها، فافتقرت فاقتربت برجل باقلائي فقير الحال فأذلها. وتآمرت زمرد خاتون زوجة طغتكين على قتل ابنها المعز إسماعيل، وتزوجت غازي بن جبريل فمات مسموماً وصفت لها الأمور وملكت زبيد، وأحضرت سليمان بن شاهنشاه من مكة وكان فقيراً فتزوجته وملكته اليمن، وكان ظالماً لم يرع حق زمرد. أما راضية فكانت ابنة ملك هو التتمش الذي عين ابنته ولية للعهد رغم أن له ثلاثة أولاد، وكان أخوها لأبيها ركن الدين قد حكم وهددها بالقتل فاستجارت بالشعب وأظهرت ظلمه فانتصرت عليه وأمرت بقتله، واستقلت بالملك أربع سنين، ثم إنها اتهمت بعبد لها من الحبشة، فاتفق الناس على خلعها وتزويجها من بعض أقاربها.

وحاربت شجرة الدر الفرنسيين وانتصرت عليهم، وهيات لابنها الحكم بعد وفاة أبيه ولكنه كان ضعيفاً فتسلمت هي الحكم، ولكن المماليك البحرية أجبروها على التنحي إرضاء لخليفة بغداد، ولما عرفت القائد المرشح للحكم سارعت إلى الزواج به، وأمرت أن تُلقي الخطبة في المساجد باسمها واسم زوجها، وكذلك تضرب السكة باسمهما، وتسلمت الملك بعد وفاة زوجها، ثم تزوجت عز الدين أيك، ولما علمت أن زوجها خطب بنت بدر الدين لؤلؤ، قررت قتله، فأمرت جوارياها أن يقتلنه

في الحمام. وقتلت بـرخان أخاها وأمرت الغلمان أن يضربوه بالسيف، ثم غدر بها أخوها الآخر فقتلت.

ويلاحظ أن الغدر والتآمر كان من شيمة هذه النساء اللواتي وصلن للحكم، وكان مصير أكثرهن

القتل أو العزل والنسيان.

كثرة الجوازي في قصور الخلفاء والأمراء:

كان معظم سكان الدول المفتوحة يؤخذون ضمن السبي، وكانت القصور تـزخر بالجوازي اللاتي يقدمن بثقافتهن وغرابتهن، فكن فارسيات أو كرديات أو رومانيات أو أرمنيات أو أثيوبيات أو سودانيات أو هنديات أو بربريات. وكان هارون الرشيد يملك ألف جارية، أما المتوكل الذي حكم بين 232 و247 هـ فقد كان له أربعة آلاف جارية⁽¹⁾. وغدا الحريم في كل قصر- موضعاً للرفاهية، حيث كانت أجمل نساء العالم يتخذن من الثقافات المختلفة وإتقان المعارف المتنوعة أوراقاً يغرين بها الخلفاء والوزراء. ذلك إن إغراء هؤلاء الرجال لم يكن رهيناً بالنظرات الفاتنة فحسب، بل كان من اللازم انتزاع إعجابهم في المجالات التي كانت تبهرهم. كعلم الفلك والرياضيات والفقه والتاريخ إضافة إلى الشعر والغناء، ولم يكن بإمكان النساء الجميلات الغارقات في النقاش الجدي، أن يصلن ويحققن الاستمرار في ذلك العالم. ذلك ما أدركته الجوازي المحظيات، فأحطن أنفسهن بمعلمين أكفاء. ومن ثم تلقت الخيزران الفقه على يد أحد أشهر القضاة في عصرها لتتال الحظوة لدى المهدي، إضافة إلى ذلك كانت الخبرات الجنسية ورقة الأحاسيس مجالاً حاولت الجوازي تطويره، حيث استغلت كل منهن أسوار ثقافتها الخاصة، ولم تكن النساء العربيات الارستقراطيات مؤهلات للصمود أمام المنافسة وخاصة في المجال الأخير، إذ كن محاصرات بالأخلاق المتشددة التي تفرضها الطبقات الحاكمة على نساها، وهي أخلاق لم تكن الجوازي مجبرات على الالتزام بها، وبالتالي فإن إقبال الأسياد عليهن دفع بهن تدريجياً إلى تعميق معرفتهن بالشهوة الذكورية ونزواتها⁽²⁾.

ولم يمر وقت طويل حتى غدت كل منطقة في العالم الإسلامي مشهورة بخصال نساءها النوعية، وقد حققت نساء المغرب العربي سبقاً كبيراً: "من أراد الجارية للذة فليخذها بربرية، ومن أرادها خازنة وحافظة فرومية، ومن أرادها للولد ففارسية، ومن أرادها للرضاع فزنجية، ومن أرادها للغناء فمكية"⁽³⁾.

صدرت هذه النصائح عن خبير في الأمر، إنه طبيب مسيحي يدعى ابن بطلان المتوفى سنة 144 هـ. اشتهر في بغداد لكفاءته، وزادت شهرته حين كتب بحثاً عن شاري الرقيق، وهو بحث يبعث على الانبهار إذ إنه يقدم نصائح عملية لإفشال حيل النخاسين الذين يزينون الجوارى المريضات ويستعملون وسائل بسيطة لإكسابهن مظهراً يوحى بأنهن في كامل صحتهن، أو يغيرون لون شعرهن ونشترتهن حتى يتم الإقبال عليهن: "من ذلك ما يفعلونه في الألوان فتغير البشرة بشيئين، هما: أما السمراء فإنها تصير ذهبية... وأما الذرية اللون فتصير بيضاء... ومن ذلك ما يكسب الشعور الشقر السواد الحالِك... وما يجعل الشعور السبطة... ومن عادة النخاسين إذا أرادوا أن يطولوا الشعور أن يوصلوا في طرفه من جنسه..."⁽⁴⁾.

قد تظل بعض هذه الصفات مفيدة حتى يومنا، وهكذا يجب الاحتياط في أولئك الذين يتوفرون على عيون واسعة لأنهم كسالى أو منحرفون، أما ذوو العيون الغائرة فهم حاسدون، وتدل العيون الزرق على التفاهة، أما الذي تتحرك حدقتاه بسرعة فيجسد القبح ذاته. أما إذا صادفك شخص يغلب سواد عينيه على بياضها فما عليك إلا أن تسلم رجلك للريح وتهرب لأنك أمام شخص أحمق.

أما الشعر الخفيف فيدل على البلاهة، في حين يدل الشعر الكثيف والأكثر على شجاعة كبيرة. وحسب ابن بطلان فإن محاولة الاتصال بشخص ذي أنف كبير مضيعة للجهد، إذ إن كبر الأنف دليل على البلاهة. أما الشخص ذو الجبهة العريضة فهو كسول، وليست الجبهة الضيقة بالصفة الجميلة لأنها تدل على الجهل، ويدل الفم الكبيرة على الشجاعة، أما الشفتان الكبيرتان فعلى البلاهة⁽⁵⁾.

لكن ابن بطالان يتجاوز كل الأرقام القياسية حين يرشد الشاري المحتمل ورفقته، ولكن مشكلتهن حسب قوله هو أنهن يمتن في سن مبكرة، وينصح بالتركيات لصفاتهن وجمالهن، ولكنهن سمينات، ونادراً ما نجد جارية تركية رشيقة القوام. أما الرومانيات فهن جوار ممتازات وغالباً ما يتوفرن على دراية بالأعمال اليدوية، أما اللاتي يجب تجنبهن فهن الأرمنيات لأنهن خائفات وسارقات وينصح باستعمال العصا معهن للوصول إلى نتيجة⁶⁶.

إن ما يبعث على الدهشة في كل هذه الكتابات هو أن الدول الإسلامية التي وضعت لنفسها هدف القضاء على العبودية انطلاقاً من رسالة النبي صلى الله عليه وسلم وتعاليم القرآن قد حققت قصب السبق في العبودية، وظلت كذلك حتى الفترة التي تخلت فيها الدول الأوروبية عن الظاهرة خلال القرن التاسع عشر. وفي منتصف القرن الثاني عشر هـ الثامن عشر م، سجد مسلماً يكتب بياناً يضمنه صفات لفحص الرقيق وتجنب السقوط في شرك النخاسين، عنوان "لفت الله الغزالي" وهو أحد رعايا مصر العثمانية بحثه بعنوان يوحى بشدة التقوى: "هداية المرید في تقلیب العبيد"⁶⁷، وبما أن حدود الإمبراطورية الإسلامية قد رسمت منذ عهد هارون الرشيد، وأنها لم تعد فاتحة بعد ذلك، بل غدت هي عرضة للغزو، فإن بإمكاننا أن نتساءل عن مصدر هؤلاء العبيد. لقد كانوا مسلمين ولذلك نتساءل: لماذا لم تنظم السلطات الدينية حملات ضد العبودية وهي المهتمة بالإسلام والدفاع عن مبادئه الأساسية؟ إنه سؤال لا مناص من طرحه في كل آن.

الهوامش

(1) المسعودي، مروج الذهب 122/3، ط دار المعارف بيروت 1983، وانظر ضحى الإسلام 9/1، ط

1961.

(2) بشأن العبودية والجواري في ظل العباسيين الأوائل انظر أحمد أمين، ضحى الإسلام، وانظر

الفصل الرابع "العبودية وتأثيرها الثقافي" 79/4، وانظر جرجي زيدان، تاريخ التمدن الإسلامي

172/2، 27/5، 76، آدم متز، الحضارة الإسلامية ص 295.

(3) ابن بطلان، رسالة في شري الرقيق، سلسلة نواذر المخطوطات 352/4، لجنة التأليف والترجمة

والنشر، القاهرة 1954، محمد يوسف النجرمي، العلاقة السياسية والثقافية بين الهند والخلافة

العباسية ص 125.

(4) نفسه ص 379 وما تلاها.

(5) نفسه ص 365 وما تلاها.

(6) نفسه ص 370 وما تلاها.

(7) لفت الله الغزالي، هواية المرید في قلب العبيد، نشر في نفس الكتاب الذي نشر فيه بحث

ابن بطلان، مكتبة الجنة، القاهرة 1954.

دور الجوّاري في الحياة:

لقد كان معظم سكان الدول المفتوحة يؤخذون ضمن السبي، وكانت القصور تزخر بالجوّاري المختلفة العادات والثقافات، لقد كن فارسيات أو كرديات أو رومانيات أو أرمنيات أو أثوبيات أو سودانيات أو هنديات أو بربريات. وكان هارون الرشيد يملك ألف جارية، أما المتوكل الذي حكم بين 232 و 247 هـ فقد كان له أربعة آلاف جارية⁽¹⁾ وغدا الحريم في كل قصر موضعاً للرفاهية، وكانت أجمل نساء العالم يتخذن من الثقافات المختلفة وإتقان المعارف المتنوعة أوراقاً يغرّين بها الخلفاء والوزراء. ذلك إن إغراء هؤلاء الرجال لم يكن رهيناً بالنظرات الفاتنة فحسب، بل كان من اللازم انتزاع اعجابهم في المجالات التي كانت تبههم، كالتاريخ والشعر والغناء، ولم يكن بإمكان النساء الجميلات الغارقات في النقاش الجدي، أن يصلن ويحققن الاستمرار في ذلك العالم، ذلك ما أدركته الجوّاري المحظيات، فأحطن أنفسهن بمعلمين أكفأ. ومن ثم تلقت الخيزران الفقه على يد أحد أشهر القضاة في عصرها لتنال الخطوة لدى المهدي، إضافة إلى ذلك كانت الخرات الجنسية ورقة الأحاسيس مجالاً حاولت الجوّاري تطويره، حيث استغلت كل منهن أسوار ثقافتها الخاصة، ولم تكن النساء العربيات الارستقراطيات مؤهلات للصمود أمام المنافسة وخاصة في المجال الأخير، إذ كن محاصرات بالأخلاق المتشددة التي تفرضها الطبقات الحاكمة على نساها، وهي أخلاق لم تكن الجوّاري مجبرات على الالتزام بها، ومن ثم فإن إقبال الأسياد عليهن دفع بهن تدريجياً إلى تعميق معرفتهن بالشهوة الذكورية ونزواتها⁽²⁾.

ولم يمر وقت طويل حتى غدت كل منطقة في العالم الإسلامي مشهورة بخصال نساها النوعية، وقد حققت نساء المغرب العربي سبقاً كبيراً: "من أراد الجارية للذة فليتخذها بربرية، ومن أرادها خازنة وحافظة فرومية، ومن أرادها للولد ففارسية، ومن أرادها للرضاع فزنجية، ومن أرادها للغناء فمكية"⁽³⁾. صدرت هذه النصائح عن خير في الأمر، إنه طبيب مسيحي يدعى ابن بطلان (توفي سنة 144 هـ) اشتهر في بغداد

لكفاءاته، وزادت شهرته حين كتب بحثاً عن شاري الرقيق، وهو بحث يبعث على الانبهار إذ إنه يقدم نصائح عملية لإفشال حيل النخاسين الذين يزنون الجواري المريضات ويستعملون وسائل بسيطة لإكسابهن مظهراً يوحى بأنهن في كامل صحتهن، أو يغيرون لون شعرهن وبشرتهن حتى يتم الإقبال عليهن: "من ذلك ما يفعلونه في الألوان فتغير البشرة بشئين، هما: "أما السمراء فلإنها تصير ذهبية... وأما الدرية اللون فتصير بيضاء... ومن ذلك ما يكسب الشعور الشقر السواد الحالك... وما يجعل الشعور السبطة... ومن عادة النخاسين إذا أرادوا أن يطولوا الشعور أن يوصلوا في طرفه من جنسه..."⁽⁴⁾.

قد تظل بعض هذه الصفات مفيدة حتى يومنا هذا، وهكذا يجب الاحتياط من أولئك الذين يتوفرون على عيون واسعة لأنهم كسالى أو منحرفون، أما ذوو العيون الغائرة فهم حاسدون، وتدل العيون الزرق على التفاهة، أما الذي تتحرك حدقاته بسرعة فيجسد القبح ذاته.

كثرة الخلفاء من أبناء الجواري:

يبحث عدد الخلفاء الذين ينحدرون من أمهات جوار على الدهشة في التاريخ الإسلامي، وتستحق هذه الظاهرة بحثاً معمقاً، لأنها تدلنا على بعد بالغ الأهمية في الصراع الطبقي وتنافس الثقافات خلال العصر الإسلامي الذهبي، ألا وهو البعد الجنسي ويلاحظ ابن حزم بأن "هناك ثلاثة خلفاء فحسب ينحدرون من أمهات حرائر ضمن مجموع الخلفاء العباسيين، أما بالنسبة للخلفاء الأمويين بالأندلس، فليس هناك خليفة واحد من أم حرة"⁽⁵⁾، لقد كانت سلمة أم لخليفة العباسي المنصور أبي المهدي جارية بربرية، أما أمهات المأمون والمنتصر والمستعين والمهتدي فكن جواري رومانيات، وكانت أم المتوكل تركية⁽⁶⁾.

ولم تكن هناك ضوابط لعدد الجواري، يقول الطبري في تفسيره بأن واجبات المؤمن تجاه جواربه ليست هي واجباته تجاه الحرائر من نسائه، لأن الجواري يدخلن فيما ملكت أيماهنه⁽⁷⁾.

- (1) المسعودي، مروج الذهب 122/3، ط دار المعارف بيروت 1983، وانظر ضحى الإسلام 9/1، ط 1961.
- (2) فيما يخص العبودية والجواري في ظل العباسيين الأوائل انظر أحمد أمين، ضحى الإسلام، وانظر الفصل الرابع "العبودية وتأثيرها الثقافي" 79/4، وانظر جرجي زيدان، تاريخ التمدن الإسلامي 172/2، 27/5، 76، آدم متز، الحضارة الإسلامية ص 295.
- (3) ابن بطلان، رسالة في شري الرقيق، سلسلة نواذر المخطوطات 352/4، لجنة التأليف والترجمة والنشر، القاهرة 1954 .
- (4) نفسه ص 379 وما تلاها.
- (5) ابن حزم، نقط العروس في تاريخ الخلفاء، ضمن كتاب الرسائل، المجلد 11 ص 104.
- (6) ابن حزم، رسالة في أمهات الخلفاء، المجلد 11 ص 121.
- (7) تفسير الطبري 541/7.

الجواري في قصور الخلفاء:

لقد كان معظم سكان الدول المفتوحة يؤخذون ضمن السبي، وكانت القصور تزخر بالجواري اللائي يقدمن بثقافتهن وغرابتهن، وكن فارسيات وكرديات ورومانيات وأرمنييات وأثيوبيات وسودانيات وهنديات وبربريات. وكان هارون الرشيد يملك ألف جارية، أما المتوكل (حكم بين 232 و 247 هـ) فقد كان له أربعة آلاف جارية⁽¹⁾ وغدا الحريم في كل قصر موضعاً للرفاهية، حيث كانت أجمل نساء العالم يتخذن من الثقافات المختلفة وإتقان المعارف المتنوعة أوراقاً يغرين بها الخلفاء والوزراء. ذلك إن اغراء هؤلاء الرجال لم يكن رهيناً بالنظرات الفاتنة فحسب، بل كان من اللازم انتزاع إعجابهم في المجالات التي كانت تبهرهم، كالفقه والتاريخ والشعر والعناء، ولم يكن بإمكان النساء الجميلات، أن يصلن ويحققن الاستمرار في ذلك العالم، ذلك ما أدركته الجواري المحظيات، فأحطن أنفسهن بمعلمين أكفاء. ومن ثم تلقت الخيزران الفقه على يد أحد أشهر القضاة في عصرها لتنال الخطوة لدى المهدي، إضافة إلى ذلك كانت الخبرات الجنسية ورقة الأحاسيس مجالاً حاولت الجواري تطويره، حيث استغلت كل منهن أسوار ثقافتها الخاصة، ولم تكن النساء العربيات الأرستقراطيات مؤهلات للصمود أمام المنافسة وخاصة في المجال الأخير، إذ كن محاصرات بالأخلاق المتشددة التي تفرضها الطبقات الحاكمة على نساها، وهي أخلاق لم تكن الجواري مجبرات على الالتزام بها، ومن ثم فإن إقبال الأسياد عليهن دفع بهن تدريجياً إلى تعميق معرفتهن بالشهوة الذكورية ونزواتها⁽²⁾.

ولم يمر وقت طويل حتى غدت كل منطقة في العالم الإسلامي مشهورة بخصال نساها النوعية، وقد حققت نساء المغرب العربي سبقاً كبيراً: "من أراد الجارية للذة فليخذها بربرية، ومن أرادها خازنة وحافظة فرومية، ومن أرادها للولد ففارسية، ومن أرادها للرضاع فزنجية، ومن أرادها للغناء فمكية"⁽³⁾.

الهوامش

(1) المسعودي، مروج الذهب 122/3، ط دار المعارف بيروت 1983، وانظر ضحى الإسلام 9/1، ط

1961.

(2) بشأن العبودية والجواري في ظل العباسيين الأوائل انظر أحمد أمين، ضحى الإسلام، الفصل

الرابع " العبودية وتأثيرها الثقافي " 79/4، وانظر جرجي زيدان، تاريخ التمدن الإسلامي 172/2،

27/5، 76، آدم متز، الحضارة الإسلامية ص 295.

(3) ابن بطلان، رسالة في شري الرقيق، سلسلة نوادر المخطوطات 352/4، لجنة التأليف والترجمة

والنشر، القاهرة 1954.

نساء حاكمات

1- قبل الإسلام

بلقيس ملكة سبا

أشهر الملكات في الجاهلية وردت قصتها في القرآن الكريم قال تعالى:

(وَأُوتِيَتْ مِنْ كُلِّ شَيْءٍ وَلَهَا عَرْشٌ عَظِيمٌ) النمل: ٢٣، وفي القرآن الكريم ذكر لحالها وحال قومها،

قال تعالى على لسان الهدهد: (وَجَدْنَاهَا وَقَوْمَهَا يَسْجُدُونَ لِلشَّمْسِ مِنْ دُونِ اللَّهِ) النمل: ٢٤، وكانت

بلقيس وقومها أولو قوة: (قالوا نحن أولوا قوة وألوا بأس شديد والأمر إليك فانظري ماذا تأمرين) النمل:

٢٣، وكانت وقومها يعبدون الشمس: (وَجَدْنَاهَا وَقَوْمَهَا يَسْجُدُونَ لِلشَّمْسِ مِنْ دُونِ اللَّهِ) النمل: ٢٤، وهي

ذات ذكاء وتدبير وآراء صائبة: (قَالَتْ إِنَّ الْمُلُوكَ إِذَا دَخَلُوا قَرْيَةً أَفْسَدُوهَا وَجَعَلُوا أَعِزَّةً أَهْلِهَا أَذِلَّةً وَكَذَلِكَ

يَفْعَلُونَ (34) وَإِنِّي مُرْسِلَةٌ إِلَيْهِمْ بِهَدِيَّةٍ فَنَاظِرَةٌ بِمَ يَرْجِعُ الْمُرْسَلُونَ) النمل: ٢٤ - ٢٥، وقد شعرت بأنها

ظلمت نفسها فسلمت أمرها لله رب العالمين: (قِيلَ لَهَا ادْخُلِي الصَّرْحَ فَلَمَّا رَأَتْهُ حَسِبَتْهُ لُجَّةً وَكَشَفَتْ عَنْ

سَاقِهَا قَالَ إِنَّهُ صَرْحٌ مُّمَرَّدٌ مِنْ قَوَارِيرَ قَالَتْ رَبِّ إِنِّي ظَلَمْتُ نَفْسِي وَأَسْلَمْتُ مَعَ سُلَيْمَانَ لِلَّهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ)

النمل: ٤٤ ووردت قصتها في التوراة والإنجيل، وفي كتب التاريخ وأساطير الأقدمين، وهي امرأة مثال الطهارة

والنبيل، ساحرة الملامح، شديدة الفتنة، قوية التأثير. ووصف عرشها ثُبج بقوله:

عَرُشُهَا رَافِعٌ مِائَتِينَ بَاعاً	كُلُّتُهُ بِجُوهَرٍ وَفَرِيدٍ
وَبَدْرٌ قَدْ قُبِذْتُهُ وَبَاقُو	تِ بِبِالتَّبْرِ أَيْمَماً تَقِيِيدِ

كان والدها ملكاً عظيم الشأن، وهو آخر أربعين ملكاً من ملوك اليمن، مات دون وصية فخلفه في

حكم اليمن ابن أخيه، وكان ضعيف الخلق سيء السيرة، أضُرَّ

بسمعة نساء مملكته، وظل في غيه لا يستطيع أحد أن يقف في وجهه حتى تعرض لبلقيس، وعندها دبرت له مكيدة أودت بقتله، في حين عجز الرجال عن التخلص منه، وبرهنت على قوة شخصيتها وحسن بلائها، ثم دعت كبار رجال الدولة إلى اختيار ملكٍ لليمن، تتوفر فيه النزاهة والجدارة، إلا أن كبار رجال اليمن وساستها لم يجدوا أحداً أصلح من بلقيس، لما تتصف به من قوة وحكمة، ونادوا بها ملكة علي اليمن.

وهكذا ظفرت بلقيس بأعظم عرش عرفه التاريخ، وكان عرشها مصنوعاً من الزبرجد والمرمر والذهب والياقوت ومختلف الأحجار الكريمة، وقيل إن طول عرشها كان ثلاثين ذراعاً وعرضه ثلاثين، وارتفاعه ثلاثين، وكذلك قيل: إن عرشها كان سريراً ضخماً من ذهب وفضة مرصعاً بالجواهر، وكان في جوف سبعة بيوت، عليها سبعة أبواب، كل بيت داخل الآخر، وعرشها في آخر بيت لها، وكان مقدم عرشها من الذهب مرصعاً بالياقوت الأحمر والزمرد الأخضر، ومؤخره من فضة مكللاً بضروب من الجواهر واللآلئ، وله أربع قوائم، قائمة من ياقوت أحمر، وأخرى من ياقوت أصفر، وثالثة من زبرجد أخضر، ورابعة من دُرٍّ أبيض، وصفائح السرير من ذهب، أما تكاليف الكوة التي تدخل منها الشمس فتسجد لها فتبلغ ثلاثمائة ألف أوقية من الذهب.

ولم يكن عرش بلقيس بالأمر الوحيد الذي بالغ فيه الكُثَّاب وألقوا حوله القصص والروايات، بل ذكروا من قوتها أنه كان تحت زعامتها أكثر من ثلاثمائة ملك يلتمسون طاعتها، وقيل إن عدد قوات جيشها مئات الآلاف، أما جنودها فآلاف الملايين، وكان لها ثلاث مائة وزير يدبرون شؤون مملكتها.

وكان أهم حدث في حياة بلقيس هو اتصالها بالنبي سليمان الحكيم أحد عظماء العصر، سمعت بلقيس بسليمان ورجاحة عقله، فأرادت الاتصال به وقد بلغها ما يقال عن نبوغه ونبوّته، ورغبت أن تختبره بنفسها، فأرسلت إليه صبياناً في زي فتيات، وفتيات في زي صبيان، حتى يفرق بينهم، وأرسلت له كذلك درة منقوبة ثقباً

ملتويًا ليدخل فيه خيطاً، وأوعزت لرئيس بعثتها أن يكون لها رأياً صحيحاً عن سليمان، فلما عاد مندوبها أبلغها أن سليمان أظهر منتهى الحكمة، وأن الطير والجن في خدمته، وأن غنى هذا الملك لا يجاريه ثراء اليمن.

وكان سليمان قد أرسل إليها يؤذنها بدينه، ويدعوها إلى سُنَّته، وكتب إليها: (إِنَّهُ مِنْ سُلَيْمَانَ وَإِنَّهُ بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ) لنمل: ٣٠، فاستجابت له، وهي معجبة به فقصدت زيارته، وكان أولو مشورتها ثلثمائة واثنى عشر من أقبال اليمن فقالت لهم: (يا أيها الملأ إني ألقي إلى كتاب كريم) النمل: ٢٩، وسألتهم أن يجيبوها وقالت: (يَا أَيُّهَا الْمَلَأُ أَتُنَبِّئُنَا بِمِثْرِ نَخْلٍ لَمْ يَكُنْ فَاطِعَةً أَمْرًا حَتَّى تَشْهَدُونِ) النمل: ٣٢، أما قومها فتركوا الأمر لها، وأجابوها بقولهم: (قَالُوا قَالُوا نَحْنُ أَوْلُو قُوَّةٍ وَأَوْلُو بِأسٍ شَدِيدٍ وَالْأَمْرُ إِلَيْكِ فَانْظُرِي مَاذَا تَأْمُرِينَ (33) قَالَتْ إِنَّ الْمُلُوكَ إِذَا دَخَلُوا قَرْيَةً أَفْسَدُوهَا وَجَعَلُوا أَعِزَّةَ أَهْلِهَا أَذِلَّةً وَكَذَلِكَ يَفْعَلُونَ) النمل: ٣٣، فعرفت ترددهم، ونبهتهم بأخطار ما ينتظرهم من الحرب والقتال، وما تجر عليهم من وبال، وقالت: (إِنَّ الْمُلُوكَ إِذَا دَخَلُوا قَرْيَةً أَفْسَدُوهَا وَجَعَلُوا أَعِزَّةَ أَهْلِهَا أَذِلَّةً وَكَذَلِكَ يَفْعَلُونَ) النمل: ٣٤، وأخبرتهم بأنها سترسل له هدية تسر نفسه، فحملت إليه الهدايا من النفائس والأحجار الكريمة، وقصدت سليمان فسارت إليه وسار في ركابها مائة ألف من أمراء اليمن ورحب بها سليمان ترحيباً شديداً، وأعجب بجمالها الفتان، ونزلت من قلبه منزلاً كبيراً، وبقيت معه فترة من الوقت لتتعرف على عظمة مملكته، وسر عبقريته، وقيل إن سليمان قد أحبها وتعلق بها، وانتهى هذا الحب بالزواج منها، وقيل إنها أنجبت له ابناً يدعى داود، توفي في حياتهما، وتذكر المصادر الهندية أنها أنجبت منه ولداً سمي ابن الحكيم، خلف بلقيس على عرشها، ورفض أن يكون وريثاً لسليمان، وهناك رواية تقول: إن سليمان أعاد بلقيس إلى وطنها وزوجها من تبع ملك همدان، وعاشت في اليمن في دعة وسكون.

وكان من جلائل أعمالها أنها بنت قصر غمدان وسد مأرب، وكان عملها هذا من أعاجيب الزمان

وروائع الآثار، أما السد فهو معروف مشهور، وصفه الفخر

الرازي بقوله: "إن بلقيس هي التي مدّت سد مأرب وجعلته طبقات ثلاثاً بعضها فوق بعض" (الفخر الرازي 260/5)، وأما قصر غُمدان فقليل إنه عشرون طبقة بعضها فوق بعض، وفوقها مجلس بُني بالرخام الملوّن يعلوه سقف من رخامة واحدة تشف عما فوقها. وعلى كل ركن من أركانه أسد كأعظم ما يكون من الأسد، إذا هُبّت عليه الريح دخلت من منافذه فاضطربت في صدره فخرجت من فيه كزئير الأسود، وكانت المصابيح توقد في القصر ومن حوله حتى يحسبه المشرف من بعض طرق اليمن برقاً خافقاً أو شهياً متألقه. هذه المرأة الأسطورة العظيمة المبدعة التي خلدها التاريخ، وماتت وكل حي يموت، فقليل إنها توفيت قبل سليمان ودفنت بتدمر وأُخفي قبرها عن الناس، واختفت عن العالم، ولكنها بقية خالدة على مرور الأزمان والدهور.

المراجع:

- تاريخ ابن الوردي 56/1-57، التيجان في ملوك حمير لابن هشام 137-170، تاريخ الخميس 272/1-282، البداية والنهاية لابن كثير 2/ 147-149، نهاية الأرب للنويري 14/ 111-135،
أعلام النساء 1/ 142-148.
- عبد الله عفيفي: المرأة العربية في جاهليتها وإسلامها، ص 38-48. ط دار الرائد العربي، بيروت 1982.
- علي إبراهيم حسن: نساء لهن في التاريخ الإسلامي نصيب ص 9-11. ط مكتبة النهضة المصرية، القاهرة 1981 م.
- محمد كامل حسن: سطور مع العظيمات ص 51، ط دار البحوث العلمية، بيروت 1969م.

الزَبَاء

ملكة تدمر

توفيت سنة 358 ق هـ

تدمر مدينة واسعة شاسعة بين نطاق الصحراء نهضت بها امرأة من العرب فبسطت سلطانها ونشرت أعلامها ما بين مجاهل السودان ومعالم أنقرة من مسالك وممالك، وأمم وشعوب، وهي في طرف بادية الشام على مدى مائة وخمسين ميلاً من دمشق، ومسيرة خمسة أيام من الفرات، وهي ملتقى الغادين والرائحين بين الشام والعراق، قامت فيها الأبنية الفخمة الرائعة من مثل هيكل الشمس أو هيكل يعل، والقصر الأعظم الذي بلغ ذرعه ألفي ذراع في مثلها، ولا تزال أطلالها باقية في الشام.

في هذه البيئة نبغت الزباء أو زنوبيا، أو زينب وقد وذاع صيتها وتوسعت مملكتها، كانت في أول أمرها مشيرة لزوجها، ثم وصية على ولدها، وفي كلا الأمرين كانت الوحي الملهم واليد الطولى، جمعت بين الجمال وعذوبة المنطق وشدة البأس في الحروب.

وهي من شهرات نساء العرب، وأجلهن خلقاً، وأحزمهن أمراً، وأبعدهن نظراً، وأوسعهن إدراكاً وحكمة، وأكثرهن مقدرة ومهارة، وصفها المؤرخ الروماني (تريبولوس) بأنها أجمل ملكة عرفها التاريخ، وكانت سمراء اللون واسعة العينين، أسنانها كالؤلؤ، وجسمها ممشوق في قوة، وكانت تلبس العمامة كالرجال، بل هي خوذة مرصعة بالدر والياقوت وتندلى فوق غلاتها أهداب من الحرير الأُرجواني، ولها سيطرة لا حد لها على كافة الرجال في مملكة تدمر، تلك هي الزَبَاء بنت عمرو بن حِثان، التي تربعت على عرش الجزيرة بالعراق حقبة من الزمان.

اختلف المؤرخون في نسبها وتضاربت أقوالهم، فقليل إنها ابنة زعيم عربي اسمه عمرو بن ضارب بن

حسان، وقيل إنها من نسل سليمان الحكيم، وروي عنها

أنها قالت إنها منحدرة من نسل كليوباترا، وكانت هي تزعم أنها من سلالة ملوك مصر المقدونيين. والرباء كما يذكر المؤرخون امرأة من ملوك العماليق.

تثقت زنوبيا بالثقافة اليونانية، وكانت تحسن عدة لغات، منها الآرامية والقبطية، وكان لها اطلاع واسع على تاريخ الشرق والغرب، وروي أنها ألقت كتباً عن مصر، وكانت شديدة الإعجاب بتاريخها. كانت جميلة في جمال كليوباترا إلا أنها تفوقها في الخلق والحمية، وكان ذكاؤها نادراً، وهي متفهمة في اللاتينية واليونانية والمصرية، وقيل أن فلوطينس المشهور أستاذها، وهي مولعة بالقراءة وراغبة في الإطلاع، قرأت كتب هومر وإفلاطون وغيرهم، وهي تكتب اليونانية بسهولة، وجمعت تاريخ الشرق ونسخته لنفسها.

وكما كانت مشهورة بجمالها وثقافتها، كانت مشهورة بشجاعته ودهانها وبأسها. تحب الصيد والمغامرة، وتتبع زوجها في الصيد ولا تهرب الحيوانات المفترسة، أسداً كان أو ثمراً. ويرجع الفضل في انتصارات زوجها إلى بأسها وحصافتها وبعد نظرها، فلم تكن فيها صفة الضعف، ولا تلك العواطف التي تنطوي عليها الملكات.

ولما حكمت عاملت الرعية بالعدل وسارت فيهم سيرة حكيمة، فكانت إذا اضطرت أن توقع جزاء، أضعفت في نفسها عوامل الرحمة كما أنها إذا رأت محلاً للعطف، قاومت عوامل الانتقام فيها. فهي في الحالين تصدر عن إرادة تخضع النفس أمامها للعقل، وهي في غير ذلك كانت تعطف على الرعية عطفها على الأمراء.

وكانت تنحو في سياستها المالية للدولة إغداق المال على الشعراء والفلاسفة والفنانين والعظماء، وتستقدمهم من البلاد النائية، وتجزل العطاء لحاشيتها عند المناسبات.

وتوسعت زنوبيا في حكمها فأضافت إلى ممتلكات زوجها بلاد مصر- فأصبحت مملكتها تمتد من الفرات إلى البحر الأبيض المتوسط، بما في ذلك القدس وإنطاكية ودمشق وبلدان أخرى مشهورة بالتاريخ. ولم يرض إمبراطور روما أن يعترف بها ملكة على ولايات زوجها فبعث إليها بجيش مرة بعد مرة، فكانت تهزمه في كل مرة شر هزيمة.

تزوجت من (إوديناتوس ستيموس) الذي يلقب بملك الملوك، وكان سيد الشرق الروماني، وامتد سلطانه إلى ما بعد سوريا، ولما توفي زوجها اعتلت هي العرش وصية على ابنها الصغير. وعندها انتهز الامبراطور (جاليانوس) الفرصة لإخضاع مملكة تدمر، فأرسل لها جيشاً جراراً، وبالمقابل قادت زنوبيا جيشها ممتطية جوادها، وقاوت جيش جاليانوس وأنزلت به شر هزيمة.

وبعد هذا الانتصار الباهر أرسلت عدداً كبيراً من التجار إلى مصر فعملوا على إنشاء علاقات تجارية بين مملكة تدمر ومصر، وأشاعوا بأن الملكة زنوبيا من سلالة كليوباترا، وأنها تسعى إلى إنقاذ المصريين من حكم الرومان، وسرعان ما تحدث الشعب المصري عن زنوبيا كما يتحدث عن بظلة أسطورية، حتى إذا ما سنحت الفرصة جهزت زنوبيا جيشها وقادته فدخلت مصر فاتحة، فقابلها المصريون بالترحاب، وانهزمت فلؤل الجيش الروماني شر هزيمة، ولم تكتفِ الملكة زنوبيا بانتصارها في مصر، بل واصلت حروبها فتوسعت مملكتها حتى شملت ضفاف البسفور، فأطلقت على المملكة اسم "الإمبراطورية الشرقية".

وكان أهم حادث أثر في مجرى حياتها، رغبتها في الانتقام من جذيمة الأبرش ملك العراق الذي قتل والدها، وقد نصحتها أختها ألا تحاربه لأنه رجل قوي، لا يُنتظر أن تظفر به، إلا عن طريق الحيلة والدهاء، فأرسلت الزبء خطاباً إليه، بعد أن استمعت إلى نصيحة أختها، تقول له إنها لم تجد خيراً في اعتلاء النساء عرش المملكة، وأنها لا تجد من يشغله أكفاً منه، ودعته إليها كي يضم ملكها إلى ملكه، ويصل بلادها ببلاده، وتسلمه مقابلد أمرها.

ولما وصل هذا الكتاب إلى جذيمة الأبرش، ووفد عليه رسلها استخفه الطمع، وأغراه النفوذ وحب السيطرة، فجمع أصحاب الرأي في الدولة، وعرض عليهم ما رآته الزباء، فوافقوا جميعاً على أن يذهب إليها جذيمة، عدا قصير بن سعد اللخمي، وكان من أدهى رجال عصره، إذ قال: هذا رأي فاتر، وغدر ظاهر، فإن كانت صادقة فتحضر إليك، وإلا فلا تمكثها من نفسك وتقع في شركها، وقد قتلت أباهما. ولكن جذيمة لم يوافق على رأي قصير، ورحل إلى الزباء في موكب حافل، واستقبلته رسل الزباء بالبشر- والترحاب، وسار جذيمة تحيط به الخيل والجند من كل ناحية، حتى دخل على الزباء، فقالت له: أشوار عروس ترى؟ فقال: أم غدرأ أرى، فسقته خمرأ حتى ثمل، وأمرت بنزف دمه حتى مات.

وخلّف جذيمة على الملك، عمرو بن عدي، فقال له قصير: تهيأ واستعد ولا تترك دم خالك، فقال: وكيف لي بها؟ فطلب منه قصير أن يجده أنفه، ويضربه على ظهره حتى تظهر آثار بارزة في ظهره، وقال العرب في ذلك: "لأمر ما جدع قصير أنفه".

أما الزباء فقد سألت جارية عدها عن مصيرها، فقالت لها: أرى هلاكك بسبب غلام غير أمين، هو عمرو بن عدي، ولن تموت بيده، ولكن بيدك، فخشيت الزباء عمراً، واتخذت لها نفقاً في المجلس الذي كانت تجلس فيه، يصل إلى حصن لها في داخل مدينتها.

خرج قصير كأنه هارب من عمرو، وحين دخل على الزباء قالت له:

ماذا أرى بك يا قصير؟ قال: فعل بي ذلك عمرو بن عدي، فأقبلت إليك، فأكرمه الزباء، وأقام عندها حتى وثقت به، واطمأنت إليه، فطلب منها أن تسمح له بالذهاب إلى العراق، لأن له فيها أموالاً وفيرة وثياباً كثيرة وتجارة عظيمة، يريد إحضارها فأعطته الزباء مالاً وعبداً. ورحل قصير إلى العراق، وعندما وصل إلى الحيرة، ودخل على عمرو بن عدي، فأخبره بما حدث وما فعله مع الزباء،

وطلب منه أن يعطيه من كل ما خف وزنه وغلا ثمنه من التحف والطرائف، حتى يتمكن من إغراء الزباء،
فياخذ بثأره منها.

ولما رجع قصر إلى الزباء بما يحمل، اعجبت كل الإعجاب بما أحضر لها من تحف، وزادت ثقتها به،
وجهرته مرة أخرى، فجلب أكثر مما جلبه في المرة السابقة، وحين رجع للمرة الثالثة، قال لعمر بن عدي:
اجمع لي ثقات أصحابك، فإذا دخلوا على الزباء أقمتهم على باب نفقها، وخرجت الرجال فصاحوا بأهل
المدينة، فإن قاتلهم قاتلوه، وإن أقبلت الزباء تريد الاحتماء بالنفق، قتلتها بالسيف.

جمع عمرو رجاله، وجهزهم على النحو الذي رتبّه قصر، وحين اقترب الركب من المدينة التي تقيم
فيها الزباء، تقدم قصر وبشرها بما أحضره، وأخذ يصف لها ما جلبه لها من طرائف وتحف نادرة، ولما
أبصرت الزباء الجمال قادمة، تكاد قوائمها تن، قالت لقصر:

ما للجمال مشيها ونيد أجندلاً يحملن أم حديدا

أم صرفاناً تارزاً شديدا

فقال قصر في نفسه:

بل الرجال قُبُضاً قعوداً

ودخلت الإبل المدينة، وأوقف قصر عمراً على باب نفق الزباء، وخرج الرجال، وأخذوا ينهبون
ويقتلون من في المدينة، ولما أحست الزباء بما حدث هربت إلى النفق، فوجدت عمرو بن عدي واقفاً ببابه،
فمضت خاتمها وكان فيه سم، وقالت: "بيدي لا بيد عمرو"، وقتلها عمرو بالسيف، ونهب مدينتها وسبى
أهلها، ثم عاد إلى بلاده، بعد أن ثار لنفسه.

هذه الرواية العربية، وهناك رواية أخرى تزعم أن الإمبراطور أورليانوس هو الذي قضى على مملكتها
فقد عبأ هذا جيشه الكبير وهاجم زنوبيا، فحدثت معارك كثيرة بين الجيشين، فهزما في مدينة حمص، ثم
حاصر تدمر، وتسلمت زنوبيا من

الحصار بجوادها لكي تعود بنجدة من الفرس، ولكن بعض الخونة وشّوا بها فأُبرت وهي تهم بعبور نهر الفرات.

وحكم على الأميرة البظلة بالإعدام، وأتوا بها مكبلة بالسلاسل المصنوعة من الذهب، وأجبروها على السير بين الجماهير إلى روما لإذلالها في اليوم الذي احتفلوا فيه بالنصر، ولكنها سارت مرفوعة الرأس شامخة الأنف، حتى إن الشعب الروماني لم يتمالك نفسه من التصفيق لها على الرغم من أنها كانت عدوته، وإذ ذاك أحجم أورليانوس عن إعدامها واكتفى بسجنها.

وقد اختلف المؤرخون في حياتها بعد الأسر، فقال بعضهم إنها قتلت نفسها جوعاً حتى لا ترى بعينها مصرعها، ومصرع بلادها، وقال بعضهم إن الإمبراطور وهبها داراً بـعديقة عاشت فيها محترمة، وزوجت بناتها من أشراف العائلات الرومانية، وصار ابنها الأصغر ملكاً على جزء من أرمينيا. ولا نعرف بالضبط السنة التي ماتت فيها هذه المرأة العظيمة، ولكن بعض المؤرخين يقدر أنها توفيت سنة 358 قبل الهجرة.

المراجع:

- لأذكياء لابن الجوزي: 1178-122، الحور العين - نشوان الحميري: 354-358، أعلام النساء 1/ 419-
428، الروضة الفحياء: 307-310، الأغاني 14/ 70، 16/ 90 ط ساسي، تاريخ ابن الوردي 1/ 59-60، تاريخ
أبي الفداء 1/ 69، مجمع الأمثال: 205-208، جمهرة أمثال العرب: 62. العرب قبل الإسلام - جواد علي 3/
133-117، تاريخ العرب - فيليب حتي 1/ 97-102.

دَلُوكَة بنت الرِّبَاء

كانت صاحبة عقل وكمال، وتجارب ومعرفة، أما زمنها فكانت في زمن موسى عليه السلام، ولما أغرق الله فرعون، كان لها من العمر فيما قيل مائة وستون سنة.

جاء في كتاب حسن المحاضرة في أخبار مصر - والقاهرة: أنه لما أغرق الله فرعون في النيل هو وجنوده، وأشرف أهل مصر وأكابرهم ووجوههم، وكانوا أكثر من ألفي ألف، بقيت مصر - خالية من الأشراف، ولم يبق إلا العبيد والأجراء والنساء، وصارت المرأة تعتق عبدها وتتزوج، وتتزوج الأخرى أجنبيها، فاجتمع أشراف مَنْ بمصر من النساء وعقدن رأيهن على أن يولين منهن واحدة، فاستقر رأيهن على أن يولين عليهن دَلُوكَة بنت الرباء، فملكوها عليهن، وخافت أن يتناولها ملوك الأرض، فجمعت نساء الأشراف، وقالت لهن: إن بلادنا لم يكن يطعم فيها أحد، وقد هلك أكابرنا وأشرفنا، وذهب السحرة الذين كنا نتقوى بهم، وقد رأيت أن أبنني حصناً أحقق به جميع بلادنا، وأضع عليه المحارس، فبنت جداراً أحاطت به على جميع أرض مصر كلها حتى المزارع، والمدن والقرى، وجعلت دونه خليجاً يجري فيه الماء، وأقامت عليه القناطر، وجعلت فيه محارس ومسالح على كل ثلاثة أميال محرس ومسلحة، وفيما بين ذلك محارس صغار على كل ميل، وجعلت على كل محرس رجالاً وأجرت عليهم الأرزاق، وأمرتهم أن يحرسوا بالأجراس فإذا أتاهم أحد يخافونه ضربوا الأجراس من أي جهة كانت فيتحصنون، وفرغت من بنائه في ستة أشهر.

وكان عندهم عجوز ساحرة اسمها تدورة، كانت السحرة تعظمها، وتقدمها في السحر، فأرسلت إليها دَلُوكَة تقول: إننا قد احتجنا إلى سحرك، فاعلمي لنا شيئاً تغلب به مَنْ حولنا، فقد كان فرعون مع ملكه محتاجاً إليك، فقدمت إليهم وعملت بيتاً من حجارة في وسط مدينة منف، وجعلت له أربعة أبواب، وصوّرت فيه صور الخيل والبغال والحمير والسفن والرجال، وقالت لهن: هذا يغنيكن عن الحصن، فمن أناكم

من أية جهة تتحرك الصور من تلك الجهة التي يأتون منها، فما فعلته الصور من شيء أصاب العدو ذلك في أنفسهم.

ولما بلغ الملوك ولاية النساء طمعوا فيهن، وإذا دنوا منهن تحركت تلك الصور وأصاب ذلك الجيش الذي أقبل، من قطع الرؤوس وقلع العيون، وبقر البطون فيعودون بالخيبة⁽¹⁾.
وملكتهم دلوكة عشرين سنة، حتى بلغ من أبناء أكابرهم رجلٌ يقال له دركون بن بطلوس، فملكوه عليهم.

الهوامش

(1) لا شك أن هذا الكلام ضرب من الخرافة، ولا يصدق العقل.

المراجع:

الروضة الفيحاء: 297-298، نهاية الإرب 1 / 392-393، مسالك الأبصار لابن فضل الله العمري 1 /

239، آثار البلاد وأخبار العباد: 139، حسن المحاضرة 1 / 28.

النضيرة بنت الساطرون

والساطرون هو الضيزن، من قبيلة قضاة، وهو ملك مدينة الحَضْر، وأصله من الجرامقة، وكان ظالماً جباراً. كان يشن الغارات على القبائل، فبلغ خبره إلى الملك كسرى سابور، فتجهز بالعسكر سابور وقدم إلى حرب الساطرون، وحاصر مدينة الحضر أربع سنين، وقيل سنتين. ولم يقدر سابور على أخذها، فاتفق أن النضيرة بنت الضيزن، حاضت وخرجت إلى رضى المدينة، وهذه عادتهم، وكانت من أجمل النساء، فنظرت إلى سابور، وهو أجمل أهل زمانه، فعشقتة وعشقها، وأرسلت إليه: ما تجعل لي إذا ملكتك البلاد؟ فقال: أرفع قدرك، وأحكمك على نسائي، فقالت له: خذ حمامة ورقاء مطوقة، فاكتب على رجلها من دم حيض بكر زرقاء، ثم أرسلها فإنها تقع على السور فينهدم، ففعل سابور ذلك، وانهدم السور وملك المدينة سابور، وقتل الضيزن وأصحابه، وكان هذا طلسم ذلك البلد، وأخرب المدينة وهي إلى الآن خراب، وأخذ النضيرة فأعرس بها بعين التمر، فلم تزل ليلتها تتضور وتتلأ، فالتمس ما يؤلمها ويؤذيها، فإذا ورقة آس ملتزقة بعكة من عكن بطنها¹¹، فقال لها: ما كان يغذوك به أبؤك؟ قالت: بالزبد والمخ وشهد الأ Bakar من النحل وصفو الخمر. فقال لها: إذن هذا كان منك جرأاً لأبيك، قتلته وقتلت أصحابه، وأخربت دياره. فأمر رجلاً من خدامه، فركب فرساً جموحاً ثم عصب غدائر الضفيرة بذنب الفرس واستركضها، ففقطعها قطعاً وماتت.

الهوامش

(1) عكن البطن: أطواؤها من السمن.

المراجع:

■ الروضة الفيحاء 306-307، أعلام النساء 3/ 1557-1558، الأغاني 2/ 141 - 144 ط دار الكتب،

تاريخ الطبري 1 في 2: 829-830.

سجاح بنت الحارث التميمية

توفيت سنة 55 هـ

كانت صاحبة نيرنجات وشعبذات⁽¹⁾، وبلغ من أمرها أنها ادّعت النبوة، وذلك في العام الذي توفي فيه رسول الله صلى الله عليه وسلم ، وتبعها بنو عمها، وأظهرت لهم أنها أسزل عليها سورة مثل القرآن، فمنها: "يا أيها المتقون لنا نصف الأرض ولقريش نصفها، ولكن قريش ييغون"، فتبعها بنو عمها بنو تميم وأخوالها بنو تغلب وبنو ربيعة، وعظمت عندهم، وكثرت جيوشها، واشتهرت بين الناس، وأظهرت دعوتها وقصدت مسيلمة الكذاب، وكان في اليمامة مقامه، وقومه بنو حنيفة، وهو الذي قدم على النبي صلى الله عليه وسلم في وفد بني حنيفة، وأسلم وأمر لهم النبي صلى الله عليه وسلم لكل واحد بخمس أواق من الفضة، فقال مسيلمة: إن جعل لي هذا الأمر من بعده اتبعته، فبلغ ذلك رسول الله صلى الله عليه وسلم ، فقال: لو سألتني هذا ما أعطيتك. وكان بيده عسيب نخل، فلما رجع عدو الله إلى مكانه ارتد واذّعى النوة استقلالاً، ثم مشاركة مع النبي صلى الله عليه وسلم .

وجاء في مختصر ابن الوردي⁽²⁾: لما قتل حمزة رضي الله عنه، قال بعضهم: ويل لوحشي من النار، فقال صلى الله عليه وسلم : أما حمزة فأجله قد انقضى، وأما وحشي فسوف يدرك الشرف من بعده. فقالوا: كيف يا رسول الله؟ قال: هو يقتل مسيلمة الكذاب. فكان كما قاله، ولما قربت سجاح من اليمامة خرج إلى قتلها مسيلمة، ونزل قريباً منها، ثم أرسل لها يريد الاجتماع بها فقبلت ذلك، وأرسلت تستدعيه، فأمرها أن تبعد قومها، ففعلت، فضرب لها مسيلمة قبة مبخرة، يخرها بالعود والعنبر والمسك وطيبها، وسبب ذلك الطيب أن النساء إذا شممن رائحة الطيب هجن للجماع، فسارت سجاح إليه، دخلت القبة، واجتمعت به تحت القبة، وقالت له: ما أوحى إليك؟ فقال: "ألم تر كيف فعل ربك بالجبلي، أخرج منها نسمة تسعى بين صفاق وحشا"⁽³⁾ ثم قالت: وما أنزل عليك أيضاً؟ قال: "إن الله خلق للنساء أفرجاً، وجعل

الرجال لهن أزواجاً..... ثم يُخرج ما يشاء إخراجاً، فقالت: أشهد أنك نبي حق، فقال: هل لك أن أتزوجك فأكل بقومي وقومك العرب؟! قالت: نعم. فقال يرتجز⁽⁴⁾:

فقد هَيَّئَ لَكَ المَضْجِعَ	ألا قومي إلى النيكِ
وإن شئتَ ففي البيتِ	وإن شئتَ ففي المخذغِ
وإن شئتَ سلقناكِ	وإن شئتَ على أربعِ
وإن شئتَ بثلاثيهِ	وإن شئتَ بهِ أجمعِ

قالت: بل به أجمع، قال: بذلك أوحى إلي، فأقامت عنده ثلاث ليالٍ، ثم خرجت من عنده، وقدمت إلى قومها، وهم لها منتظرون، فلما دنت منهم سألوها عنه، فقالت: وجدته نبياً حقاً فاتبعته وصدقت به. ثم بعث مسيلمة يخطبها من قومها فزوجوه إياها، وطلبوا مهرها منه. فقال لهم: قد وضعت عنكم صلاة العصر، وذلك لزيادة تأكيدها بالفريضة، لقوله تعالى: (خَافِظُوا عَلَى الصَّلَوَاتِ وَالصَّلَاةِ الْوُسْطَى وَقُومُوا لِلَّهِ قَانِتِينَ)، قيل: هي صلاة العصر فبنو تميم -كما زعموا- لا يصلون العصر، ويقولون: هذا مهر كريمتنا، ودخل عليها مسيلمة وصَبَّ نَبُوَّتُهُ في رحمها. ولم تحمل منه. وقُتِلَ مسيلمة الكذاب في أول خلافة أبي بكر الصديق رضي الله عنه، وكان لمسيلمة نيرنجات، وبذلك اغتر قومه. ومن أقواله: "أخرج لكم حنطة وزواناً، ورطباً وممرناً".

ولما قُتِلَ مسيلمة الكذاب انتقلت سجاج إلى أخوالها بني تغلب، وقد ذهبت نبوتها بقتل زوجها، وأقامت في بني تغلب، فلما ولي الخلافة معاوية، ونفى بني تغلب أسلمت سجاج، وانتقلت إلى البصرة، وأقامت هناك إلى أن توفيت سنة 55 هـ.

الهوامش

(1) النيرنجات: النيرنج: أُخذ تشبه السحر وايسـت بحقيقة، والنيرج: النُمام، ونورج: الرجل اختلف

إقبالاً وإدباراً، وكذا في الكلام وهي النميمة والمشي- بها، والكلمة فارسية (نيرنك) ومنها

الحيلة والمكر والسحر والطلسم. "معجم لألفاظ الفارسية المعربة ص 155".

(2) تاريخ ابن الوردي 1 / 141-142.

(3) لم يرد هذا القول في تاريخ ابن الوردي ترفعاً كما ذكر.

(4) الطبري 3 / 273 ط دار المعارف.

المراجع:

الروضة الفيحاء: 313-316، تاريخ الطبري 3 / 263، 273، تاريخ ابن الوردي 1 / 141-142، أعلام

النساء 2 / 580-583، الإصابة، النساء ت 610، الأعلام 3 / 122، فتوح البلدان 1 / 118، الدر المنثور: 236،

الخيزران

توفيت سنة 173 هـ

لا ندري هل الخيزران جارية أم رئيسة دولة؟! هي زوجة المهدي الخليفة العباسي الثالث الذي حكم بين سنة 158 و 169 هـ وابنها البكر الهادي، وابنها الأصغر الذي كانت تحبه حباً شديداً وكان يبادلها نفس الشعور وهو هارون الرشيد، وحين أصبح الرشيد خليفة، اعترف بمواهب أمه، وبين للعالم الإسلامي بأن تقاسم الحكم مع امرأة ليس أمراً مخجلاً إذا كانت هذه الأخيرة تتوفر على قوة التمييز التي تمتلكها الخيزران، بيد أن هارون الرشيد لم يفعل أكثر من كونه أثبت الحدود التي تقيد امرأة الحريم سواء كانت - أو حاكمة.

ولدت الخيزران من أبوين حرين في منطقة من مناطق اليمن تدعى جرش، ويتفق المؤرخون بهذا الشأن ما عدا ابن حزم الذي يزعم أنها من أب عربي وأم أجنبية⁽¹⁾

وصلت الخيزران التي كانت من أصل عربي حسب أغلب المؤرخين إلى قصر بغداد كجارية، وإنها قدمت بغداد برفقة بدوي وبيعت في مكة، ومن نخاس إلى آخر وجدت نفسها ذات يوم في قصر الخليفة المنصور المهدي، أثارت انتباه الخليفة منذ العبارات الأولى التي تفوهت بها حين سألها عن أصلها، وهكذا وجدت الخيزران نفسها في حضرة ذلك الذي سيضع الإمبراطورية رهن إشارتها بعد توليه الخلافة، والخيزران لم تصدق الخليفة المنصور بأنها الوحيدة في أسرتها، ولم تكشف وجود أمها وأختها وأخويها إلا بعد أن أمنت مستقبلها ووضعت ابنها، وحين استقدمت أسرتها الفقيرة من اليمن إلى قصر بغداد عُوِّضت ما فاتها.

ويبدو أن إغراء الرجال الأقوياء كان من اختصاص العائلة، إذ إن أسماء وهي إحدى أختها حاولت أن تسرق منها المهدي، ولكنه عاد إليها ثانياً، أما أختها سلسل فقد رمت شباكها على أمير آخر حيث تزوجت من جعفر أخي الخليفة المهدي، وأخيراً عين أخوها غطرف والياً على اليمن.

إذا كانت الخيزران محظية المهدي، فإنها لم تكن المرأة الوحيدة في حياته، ليست هناك ضوابط لعدد الجوّاري، يقول الطبري في تفسيره بأن واجبات المؤمن تجاه جواريه ليست هي واجباته تجاه الحرائر من نساؤه، لأن الجوّاري يدخلن فيما ملكت أيمانهن⁽³²⁾. ومن الجوّاري اللّاتي غارت منهن الخيزران، جارية تدعى مكنونة، لقد كانت جميلة ورشيقة، وكانت معروفة كمغنية في المدينة التي كانت مسقط رأسها، اشتراها المهدي عندما كان ولياً للعهد مقابل مائة ألف درهم⁽³³⁾، وقد كان المهدي معجباً بها إلى حد أن الخيزران ستعترف فيما بعد "ما غرت من أحد من النساء مثلاً"⁽³⁴⁾، وقد اشترى إبراهيم بن المهدي الجارية مكنونة بثلاثمائة دينار، وعلمها حتى بلغ سعرها ثمانية آلاف دينار، وبعد سنوات سمع الخليفة المعتصم بمكنونة ومواهبها فعرض على إبراهيم ستين ألف دينار.

ومن ثم ندرك بأن الخيزران كانت تخشى منافسة الجوّاري ولا تأبه لمنافسة زوجة المهدي الأرستقراطية التي جردتها الخيزران من كل امتيازاتها، بما في ذلك تعيين أبنائها ولاة للعهد من طرف المهدي.

ويمكن القول بأن الانقلاب الذي قاده الخيزران يتمثل في كونها دفعت بالمهدي إلى أن يعين أبنائها هي ولاة للعهد من دون سائر أبنائه من النساء الأخريات، بما في ذلك أبنائه من زوجته الأرستقراطية الأميرة ربيعة، وهي ابنة عمه، إذ إن أباهما هو الخليفة السفاح مؤسس الدولة العباسية، وقد تزوجها المهدي سنة 144 هـ وقبل ذلك بقرن لم يكن الأمويون يسمحون لأبناء الجوّاري بأن يصبحوا خلفاء⁽³⁵⁾ وكان من المفروض أن ينحدر الخليفة من أم حرة، ومن ثم ذُكر الخليفة هشام بن عبد الملك يزيد بن علي بأصله من من جهة الأم حين علم بطموحه إلى الخلافة⁽³⁶⁾.

وقد حاول ابن عبد ربه الذي أفرد جزءاً من مؤلفه العقد الفريد للنساء، أن يفهم ظاهرة صعود

الجوّاري، وكيف أنهن تمكّن من زعزعة المجتمع العربي الذي ظل

رغم الإسلام استقرائياً ونخبوياً إلى حد كبير. وبعد ذلك بفترة قصيرة نشهد علو مكانة الجوّاري وظهور شعر وأمثال ضد النساء الحرّات.

استطاعت الخيزران أن تنال موافقة المهدي على تعيين ابنها ولياً للعهد، وقد عين في البداية ابنه منها موسى الهادي رسمياً ولياً للعهد سنة 159هـ وفي السنة نفسها أعتق الخيزران وتزوجها، ذلك أن الإسلام في إطار محاربته للعبودية، فرض على الرجل عتق الجارية قبل الزواج منها، وبعد ذلك بإمكانه أن يبيّن عليها بعقد كما جرت العادة، أما قبل العتق فهي أم ولد، على خلاف المرأة الحرة التي كانت تلقب بأم البنين، من المظاهر التي استحدثها الإسلام بهذا الشأن، إعلانه أن ابن أم الولد أي الجارية من أب حر ويتمتع هو الآخر بحريته، وأن بإمكان الأم أن تتحرر هي الأخرى نسبياً، حيث إنها ترتقي إلى وضع أفضل بكثير، فتتقدو أمّاً للأولاد، بمعنى أنه لا يعود من حق زوجها أن يبيعه بعد وضعها لطفل منه، وأنها تصبح حرة بعد وفاته، ولا تورث من طرف ورثته كما كان عليه الأمر قبل الإسلام، وكان لأبناء أم الولد نفس الحقوق والامتيازات التي يتمتع بها أبناء الحرّات، بحيث أنهم يرثون عن أبيهم بالمساواة مع باقي الأبناء، طبقاً لتعاليم الشريعة، ومن ثم اطمأن هذا ذات يوم في قصر الخليفة المنصور أبي المهدي، أثار انتباه الخليفة منذ العبارات الأولى التي تفوهت بها حين سألها عن أصلها، وهكذا وجدت الخيزران نفسها في حضرة ذلك الذي سيضع الإمبراطورية رهن إشارتها بعد توليه الخلافة، والخيزران لم تصدق الخليفة المنصور بأنها الوحيدة في أسرته، ولم تكشف وجود أمها وأختها وأخويها إلا بعد أن أمنت مستقبلها ووضعت ابنها، حين استقدمت أسرتها الفقيرة من اليمن إلى قصر بغداد عوّضت ما فاتها.

ويبدو أن إغراء الرجال الأقوياء كان من اختصاص العائلة، إذ إن أسماء وهي إحدى أختها حاولت أن تسرق منها المهدي، ولكنه عاد إليها ثانياً، أما أختها سلسل فقد رمت شبابها على أمير آخر حيث تزوجت من جعفر أخ الخليفة المهدي، وأخيراً عين أخوها غطفر والياً على اليمن.

إذا كانت الخيزران محظية المهدي، فإنها لم تكن المرأة الوحيدة في حياته، ليست هناك ضوابط لعدد الجواري، يقول الطبري في تفسيره بأن واجبات المؤمن تجاه جواريه ليست هي واجباته تجاه الحرائر من نسائه، لأن الجواري يدخلن فيما ملكت أيماهن⁽⁷⁾.

ومن الجواري اللائي غارت منهن الخيزران، جارية تدعى مكنونة، لقد كانت جميلة ورشيقة، وكانت معروفة كمغنية في المدينة التي كانت مسقط رأسها، اشتراها المهدي عندما كان ولياً للعهد مقابل مائة ألف درهم⁽⁸⁾ وقد كان المهدي معجباً بها إلى حد أن الخيزران ستعترف فيما بعد "ما غرت من أحد من النساء مثلاً"، وقد اشترى إبراهيم بن المهدي الجارية مكنونة بثلاثمائة دينار، وعلمها حتى بلغ سعرها ثمانية آلاف دينار، وبعد سنوات سمع الخليفة المعتصم بمكنونة ومواهبها فعرض على إبراهيم ستين ألف دينار.

ومن ثم ندرك بأن الخيزران كانت تخشى منافسة الجواري ولا تأبه لمنافسة زوجة المهدي الأرستقراطية التي جردتها الخيزران من كل امتيازاتها، بما في ذلك تعيين أبنائها ولاة للعهد من طرف المهدي.

ويمكن القول بأن الانقلاب الذي قاده الخيزران يتمثل في كونها دفعت بالمهدي إلى أن يعين أبناءها هي ولاة للعهد من دون سائر أبنائه من النساء الأخريات، بما في ذلك أبنائه من زوجته الأرستقراطية الأميرة ربيعة، وهي ابنة عمه إذ إن أباهما هو الخليفة السفاح مؤسس الدولة العباسية، وقد تزوجها المهدي سنة 144 هـ وقبل ذلك بقرن لم يكن الأمويون يسمحون لأبناء الجواري بأن يصبحوا خلفاء⁽⁹⁾، وكان من المفروض أن ينحدر الخليفة من أم حرة، ومن ثم ذكر الخليفة هشام بن عبد الملك يزيد بن علي بأصله من من جهة الأم حين علم بطموحه إلى الخلافة⁽¹⁰⁾.

وقد حاول ابن عبد ربه الذي أفرد جزءاً من مؤلفه العقد الفريد للنساء، أن يفهم ظاهرة صعود الجواري، وكيف أنهن تمكّن من زعزعة المجتمع العربي الذي ظل

رغم الإسلام استقرائياً ونخبوياً إلى حد كبير. وبعد ذلك بفترة قصيرة نشهد علو مكانة الجوّاري وظهور شعر وأمثال ضد النساء الحرّات.

استطاعت الخيزران أن تتال موافقة المهدي على تعيين ابنها ولين للعهد، وقد عين في البداية ابنه منها موسى الهادي رسمياً ولياً للعهد سنة 159هـ، وفي السنة نفسها اعتق الخيزران وتزوجها، ذلك أن الإسلام في إطار محاربتة للعبودية، فرض على الرجل عتق الجارية قبل الزواج منها، وبعد ذلك بإمكانه أن يبيّن عليها بعقد كما جرت العادة، أما قبل العتق فهي أم ولد، على خلاف المرأة الحرة التي كانت تلقب بأم البنين، من المظاهر التي استحدثها الإسلام بهذا الشأن، إعلانه أن ابن أم الولد أي الجارية من أب حر ويتمتع هو الآخر بحريته، وأن بإمكان الأم أن تتحرر هي الأخرى نسبياً، حيث إنها ترتقي إلى وضع أفضل بكثير، فتغدو أمّاً للأولاد، بمعنى أنه لا يعود من حق زوجها أن يبيعها بعد وضعها طفلاً منه، وأنها تصبح حرة بعد وفاته، ولا تورث من طرف ورثته كما كان عليه الأمر قبل الإسلام، وكان لأبناء أم الولد نفس الحقوق والامتيازات التي يتمتع بها أبناء الحرّات، فهم يرثون عن أبيهم بالمساواة مع باقي الأبناء، طبقاً لتعاليم الشريعة، ومن ثم اطمأنت الجوّاري إلى أن بإمكان أبنائهن أن يرثوا كل شيء بما في ذلك العرش.

لما توفي المهدي سنة تسع وستين ومائة، بويج بالخلافة ولدها موسى الهادي، وكان طويلاً جسيماً، ولما استقر موسى بالخلافة همّ بقتل أمه الخيزران، وقتل أخيه الرشيد، فاتفقت الخيزران مع ولدها الرشيد، وقتلوا موسى الهادي سنة سبعين ومائة، وقيل مات بقرحة، وكانت خلافته سنة وشهراً.

كثرة الخلفاء من أبناء الجوّاري:

إن عدد الخلفاء الذين ينحدرون من أمهات جوار يبعث على الدهشة في التاريخ الإسلامي، وتستحق هذه الظاهرة بحثاً معمقاً، لأنها تدلنا على بعد بالغ الأهمية في الصراع الطبقي وتنافس الثقافات خلال العصر الإسلامي الذهبي، ألا وهو البعد الجنسي، ويلاحظ ابن حزم بأن "هناك ثلاثة خلفاء فحسب ينحدرون من أمهات

حرائر ضمن مجموع الخلفاء العباسيين، أما بالنسبة للخلفاء الأمويين بالأندلس، فليس هناك خليفة واحد من أم حرة⁽¹¹⁾، لقد كانت سلمة أم لخليفة العباسي المنصور أبي المهدي جارية بربرية، أما أمهات المأمون والمنتصر والمستعين والمهتدي فكان جوارى رومانيات، وكانت أم المتوكل تركية⁽¹²⁾.

تجاوزت الخيزران هؤلاء جميعاً، لأنها ستغدو أمّاً لخليفتين، حيث إنها لم تقنع بتعيين ابنها البكر ولياً للعهد، ورغبت في مضاعفة حظوظها، فألحت على المهدي أن يعين ابنها الثاني ومفضلها هارون الرشيد ولياً للعهد هو الآخر.

وفي سنة 166 هـ أي بعد ست سنوات من تعيين موسى الهادي، عين الخليفة المهدي هارون الرشيد ولياً للعهد بعد أخيه. كان المهدي مشغولاً ببناء الخيزران وخاصة بابنته منها -بانوكة- التي بلغ شغفه بها إلى حد أنه لم يكن يفارقها، وكان يلبسها زي الرجال لكي تصاحبه في أسفاره. إلا أن البانوكة توفيت في سن مبكرة، فحزن عليها المهدي حزناً شديداً، ووجد كبار الأعيان وموظفو القصر أنفسهم مجبرين على تقديم تعازيهم إليه حسب المراسيم الرسمية المعمول بها، إلى حد أن السلطات الدينية اعتبرت الأمر مبالغاً فيه بالنسبة لامرأة، ذلك أن وفاة امرأة يجب أن تمر في السرية التامة، ولو تعلق الأمر بأميرة، خاصة وأن البانوكة كانت بنت جارية⁽¹³⁾.

في سنة 169 هـ توفي المهدي زوج الخيزران، وأتيح لها أن تتصدر وتفيد من هذه الأحداث، كان ابنها بعيدين عن بغداد، فاستحضرت الوزراء لكي تستشيرهم وتأمرهم بصرف أجور الجند في أقرب وقت، وكان الأمر يتعلق بصرف رواتب عن عامين، وهو مبلغ ليس بالهين، إذ كان من الضروري تهدئة الجيش الذي تسربت إليه القلاقل إثر إعلان خبر وفاة المهدي، الذي كان يقود مع ابنه هارون حملة عسكرية بطبرستان، حيث أصيب حلال الطريق بمرض أدى إلى موته، وقرر هارون بعد استشارة مرافقيه دفن أبيه في عين المكان، وقفل راجعاً إلى بغداد حيث التحق بالخيزران، وقاما معاً بالسـر على مراسيم ولاية العهد في

غياب المعني الرئيسي بالأمر، وعملاً على أن يعين الهادي خليفة، ومن ثم قدم الأعيان بيعتهم لهارون نيابة عنه، ولم يلتحق الهادي ببغداد إلا بعد عشرين يوماً، وقام الجند خلالها بأعمال شغب: "فلما بلغوا بغداد وعلموا خبر المهدي، أتوا باب الربيع وأحرقوه وأخرجوا من كان في الحبوس، وطالبوا بالأرزاق"⁽¹⁴⁾، وحين قدم الرشيد إلى بغداد أرسلت الخيزران إلى الربيع ويحيى بن خالد تستدعيهما لتشااورهما في ذلك، فأما الربيع فدخل عليها، وأما يحيى فامتنع لما يعلم من غيرة الهادي. ذلك أن الهادي كان أقل تسامحاً من أبيه تجاه تدخل أمه في شؤون الدولة، وكان قد بعث إلى الربيع رسالة يهدده فيها بالقتل حين علم بأن الربيع تجاوز المجال الممنوع أي الحريم، وكانت الخيزران في عهد زوجها، تستقبل الناس، وكان العديد من الشخصيات المهمة تتزاحم على بابها، وبعد موت زوجها لم تبد رغبتها في تغيير عاداتها: "وكان سبب أمرها بذلك أنه لما ولي الخلافة كانت تستبد بالأمر دونه، وتسلك به مسلك المهدي حتى مضى أربعة أشهر، فأنشال الناس إلى بابها، وكانت المواكب تغدو وتروح إلى بابها"⁽¹⁵⁾.

شعر الهادي الذي لم يكن واثقاً من نفسه، بأن طموحات أمه تشكل خطراً، إضافة إلى أنه يغار من أخيه غيرة عمياء لكونه نال حب النخبة وإعجاب العامة بانتصاراته العسكرية. وقد حاول عدة مرات أن ينتزع منه منصب ولاية العهد لكي يعطيه لابنه جعفر⁽¹⁶⁾.

فضل هارون حل الهرب، حيث قلل من فرص الالتقاء بأخيه، بيد أن الخيزران لم تسلك نفس النهج، وظلت تتدخل في أمور تحظى باهتمامها وعلى رأسها: قيادة شؤون الإمبراطورية، في حين كان الهادي يرى خلاف ذلك، ويكرر على مسامعها باستمرار: "لا تخرجي من خفر الكفاية إلى بذاء التبذل، فإنه ليس من قدر النساء الاعتراض في أمر الملك، وعليك بصلاتك وتسبيحك وتبتلك"⁽¹⁷⁾.

ورغم ذلك ظلت مستمرة في نهجها، وذات يوم قدمت إليه لترغمه على قضاء حاجة، وكانت بذلك تتدخل لصالح أحدهم ويدعى عبد الله بن مالك. رفض المهدي

الانصياع لطلبها، محاولاً التنصل من إعطاء جواب، ولكن الخيزران ألحّت على الأمر غير مبالية: "لابد من إجابتي، قال: لا أفعل، قالت: فأني قد تضمنت هذه الحاجة لعبد الله بن مالك. فغضب موسى وقال: ويل على ابن الفاعلة، قد علمت أنه صاحبها، و الله لا قضيتها له". فأجابته بغضب: "إذاً و الله لا أسألك حاجة أبداً. قال: لا أبالي و الله، فغضب وقامت مغضبة، فقال مهدداً: مكانك و الله لنن بلغني أنه وقف ببابك أحد من قوادي وخاصتي، لأضربن عنقه ولأقبضن ماله. ما هذه المواقب التي تغدو وتروح إلى بابك؟ أما لك مغزل يشغلك أو مصحف يذكرك أو بيت يصونك؟ إياك وإياك لا تفتحي بابك لمسلم ولا لذمي. فانصرفت وهي لا تعقل، فلم تنطق عنده بعدها"⁽¹¹⁸⁾. غادرت الخيزران ابنها وهي تتعثر، وبذلك أعلنت الحرب بينهما.

مات موسى الهادي في سن مبكرة لم يتجاوز الرابعة والعشرين بعد فترة حكم قصيرة دامت عاماً ونصفاً ويذكر الكثير من المؤرخين أن وفاته كانت من عمل الخيزران الممنوعة سياسياً، وقيل إن الخيزران قد أحست أن ابنها يخطط لقتل هارون الرشيد، فأرادت التخلص من موسى الهادي وقررت قتله، فطلبت من جواربها التسرب إلى غرفة الهادي خلال نومه، وخنقه تحت الوسائد، فوضعت الجوارب الوسائد على رأسه على سبيل المزاح وجلسن عليها، وقيل بأن الهادي حاول قتل أمه أكثر من مرة، إذ بعث إليها بطعام لذيذ يود أن تذوقه، ويبدو أن الخيزران الأم الحنون والعاطفية، قد أذاقت الطعام لكلب سقط ميتاً في الحين، "فأرسل إليها (الهادي) بعد ذلك، كيف رأيت الأوزة؟ قالت: وجدتها طيبة، فقال: لم تأكلي ولو أكلت لكنك قد استرحت منك، متى أفلح خليفة له أم؟"⁽¹¹⁹⁾.

كان الهادي ابن الخيزران البكر يريد منها أن تعود إلى مكانها ومجالها أي البيت. وكانت الشخصيات التي تطلب مقابلتها تخرق في رأيه حدود حرمة، وبالتالي فإن الحجة التي اعتمدها الهادي ضد أمه حين قرر أن يقف في وجهها بعد أربعة أشهر من وفاة أبيه، لا ترتكز البتة على أي دليل يثبت عدم كفاءتها، بل إن

التدخل في السلطة حسب رأيه ليس من مهام النساء، فقرر الهادي منع أمه من التدخل في أمور الحكم، فنأدى على الشخصيات التي كانت تتقاطر عليها وحملها على الاعتراف بأنها تتجاوز كونها امرأة، قيل: "فلما كثر عليه مصر من يصير إليها من قواده، قال يوماً وقد جمعهم: أيما خير أنا أو أنتم؟ قالوا: بل أنت يا أمير المؤمنين، قال: فأما حير، أمي أو أمهاتكم، قالوا بل أمك يا أمير المؤمنين، قال: فأياكم يحب أن يتحدث الرجال بخبر أمه، فيقولوا فعلت أم فلان، وصنعت أم فلان، وقالت أم فلان؟ قالوا: ما أحد منا يحب ذلك، قال: فما بال الرجال يأتون أمي فيتحدثون بحديثها؟ فلما سمعوا ذلك انقطعوا عنها البتة"¹²⁰، فشقى ذلك عليها فاعتزلته، وحلفت ألا تكلمه، فما دخلت عليه حتى حضرته الوفاة.

ولأن الخيزران كانت تحب السلطة وتأنم لعودتها إلى الحريم، فقد قررت أن تلجأ إلى السلاح الوحيد الذي يشكل جوهر السياسة أي القتل، ومن ثم خططت لجريمتها في قتل ابنها، لم يضع ابن الخيزران كفاءة أمه أو ذكائها موضع شك حين عارض حقها في متابعة العمل السياسي الذي بدأته منذ حياة زوجها: "وكانت تريد أن تغلبه على أمره كما غلبت على أمر المهدي، فكان يمنعها ويقول: ما للنساء والكلام في أمر الرجال؟"¹²¹.

ولم يكن هناك شك في تفوقها ومواهبها الاستثنائية، وذلك ما يفسر تميزها عن باقي المحظيات اللاتي أحطن بالمهدي ونجاحها في تقليص دور ابنة عمه وزوجته الأرستقراطية (ريطة). ومن هنا ندرك بأن الكفاءة لم تكن المجال الذي يمكن الهادي أن ينافس فيه أمه، ولذلك أشهر ضدها سلاحاً آخر: واجبها في أن تعود إلى مجالها أي إلى الحريم.

قال: وحدثني بعض الهاشميين، أن سبب موت الهادي كان أنه لما جد في خلع هارون والبيعة لابنه جعفر، وخافت الخيزران على هارون منه، دسّت إليه من جواربها لما مرض من قتلته بالنعم والجوس على وجهه، ووجهت إلى يحيى بن خالد: إن الرجل قد ثوفي، فأجدد في أمرك ولا تقصّر. وهناك رأي آخر يقول:

توفي موسى الهادي بعيساباذ سنة سبعين ومائة، واختلف في سبب وفاته، فقال بعضهم: كانت وفاته من فُرحة كانت في جوفه، وقال آخرون كانت وفاته من قبل جوارٍ لأمه الخيزران، كانت أمرتهن بقتله.

وذكر أنَّ الهادي كان قد خرج إلى المدينة، حديثة الموصل، فمرض بها، واشتد مرضه، فلما علمت الخيزران بذلك بعثت إلى يحيى تعلمه أنَّ الرجل لمَّأبه، وتأمَّره بالاستعداد لما ينبغي، وكانت المستولية على أمر الرشيد وتدبير الخلافة إلى أن هلك، فأحضِر الكتاب وجميعوا في منزل الفضل بن يحيى، فكتبوا ليلتهم كتباً من الرشيد إلى العمال ب وفاة الهادي، وأنهم قد ولاهم الرشيد ما كانوا يُلُون، فلما مات الهادي أنفذوها على البرد.

وذكر الفضل بن سعيد، أنَّ أباه حدثه أنَّ الخيزران كانت قد حلفت ألا تكلم موسى الهادي، وانتقلت عنه، فلما حضرته الوفاة، وأتاه الرسول فأخبرها بذلك، فقالت: وما أصنع به؟ فقالت لها خالصة: قومي إلى ابنك أيتها الحرة، فليس هذا وقت تعبٍ ولا تغضب، فقالت: أعطوني ماءً أنوشاً للصلاة، ثم قالت: أما إنا كنا نتحدث أنه يموت في هذه الليلة خليفةً، وملك خليفةً، ويولد خليفةً، قال: فمات موسى. وملك هارون، وولد المأمون.

ذكر يحيى بن الحسن أنَّ محمد بن سليمان بن علي حدثه، قال: حدثتني عمّتي زينب ابنة سليمان، قالت: لما مات موسى بعيساباذ، أخبرتنا الخيزران الخبر، ونحن أربع نسوة، أنا وأختي وأم الحسن وعانشة، بُنيت سليمان، ومعنا زُبطَة أم علي، فجاءت خالصة، فقالت لها: ما فعل الناس؟ قالت: يا سيدتي، مات موسى ودفنوه، قالت: إن كان مات موسى، فقد بقي هارون، هات لي سويقاً، فجاءت بسويق، فشربت وسقتها، ثم قالت: هات لساداتي أربعمئة ألف دينار، ثم قالت: ما فعل ابني هارون؟ قالت: حلف ألا يُضلي الظهر إلا ببغداد، قالت: هاتوا الرجل، فما جلوسي ها هنا، وقد مضى! فلحقته ببغداد.

ملك موسى الهادي أربعة عشر شهراً وتوفي وهو ابن ست وعشرين سنة، وكانت ولايته سنة وشهراً واثنين وعشرين يوماً، وصلى عليه أخوه هارون بن محمد الرشيد، وكانت كنيته أبا محمد، وأمه الخيزران أم ولد، ودفن بعيساباذ الكبرى في بستانه.

: قال مصعب بن الزبير: قال أبو المعافى: أنشدت العباس بن محمد مديحاً في موسى وهارون⁽¹²¹⁾:

يَا خَيْرَ رَأٍ هُنَاكَ ثُمَّ هُنَاكَ إِنَّ الْعِبَادَ يَسُوسُهُمْ إِيْنَاكَ

قال فقال لي: إني أنصحك، قال اليماني: لا تذكر أُمي بخير ولا بشر.

بوقع للرشيد هارون بن محمد بالخلافة ليلة الجمعة الليلة التي توفي فيها أخوه موسى الهادي، وكانت سنة يوم ولي اثنتين وعشرين سنة، وقيل إحدى وعشرين سنة، وأمه أم ولد يمانية جرشية يقال لها الخيزران. وكانت الخيزران هي الناطرة في الأمور، وكان يحيى يعرض عليها ويصدر عن أمرها.

وفيها (سنة 173) توفيت الخيزران أم هارون الرشيد وموسى الهادي، ذكر يحيى بن الحسن أن أباه حدثه قال: رأيت الرشيد يوم ماتت الخيزران، وذلك سنة ثلاث وسبعين ومائة، وعليه جبة سعادية وطيلسان خرق أزرق، قد شد به وسطه، وهو أخذ بقائمة السرير حافياً يعدو في الطين، حتى أتى مقابر قريش فغسل رجله، ثم دعا بخف وصلى عليها، ودخل قبرها، فلما خرج من المقبرة وضع له كرسي فجلس عليه، ودعا الفضل بن الربيع، فقال له: بحق المهدي -وكان لا يحلف بها إلا إذا اجتهد- إني لأهمل لك من الليل بالشيء من التولية وغيرها، فتمنعني أُمي فأطبع أمرها، فخذ الخاتم من جعفر. فقال الفضل بن الربيع لإسماعيل بن صُبَيْح: أنا أجل أبا الفضل عن ذلك، بأن أكتب إليه وأخذه، ولكن إن رأى أن بيعت به⁽¹²²⁾.

ويوم ماتت الخيزران سنة 173 هـ خرج الرشيد يشيعها كما وصفه الطبري قال: "رأيت الرشيد يوم ماتت الخيزران وذلك سنة 173 هـ وعليه جبة سعادية وطيلسان خرق أزرق قد شد به وسطه، وهو أخذ بقائمة السرير حافياً يعدو في

الطين، حتى أتى مقابر قريش فغسل رجليه ثم دعا بخف وصلى عليها ودخل على قبرها¹²⁴. وقيل: إن

وفاة محمد بن سليمان والخيزران كانت في يوم واحد.

كانت الخيزران تمثل أسطورة حيث يتشابه الإغراء والثروة والقوة بالإحساس ارتباطاً حميمياً، لقد

اتخذت الخيزران قرارات سياسية هامة، إلى حد أنه يمكن لنا القول دون مبالغة، بأنها طبعت إحدى أهم

الفترات في تاريخ الدولة العباسية والتاريخ الإسلامي.

- (1) ابن حزم: رسالة في أمهات الخلفاء، مجلد 11 ص 120 ابن حزم: رسالة في أمهات الخلفاء، مجلد 11 ص 120.
- (2) تفسير الطبري 541/7.
- (3) الأغاني 28/15.
- (4) السابق.
- (5) ابن عبد ربه، العقد الفريد 142/7، كتاب المرجان من إخبار النساء.
- (6) العقد الفريد 139/7.
- (7) ابن حزم، نطق العروس في تاريخ الخلفاء، ضمن كتاب الرسائل، المجلد 11 ص 104.
- (8) ابن حزم، رسالة في أمهات الخلفاء، المجلد 11 ص 121، الأغاني 28/15.
- (9) ابن عبد ربه، العقد الفريد 142/7 كتاب المرجان من إخبار النساء.
- (10) العقد الفريد 139/7.
- (11) ابن حزم، نطق العروس في تاريخ الخلفاء، ضمن كتاب الرسائل، المجلد 11 ص 104.
- (12) ابن حزم، رسالة في أمهات الخلفاء، المجلد 11 ص 121.
- (13) الطبري، التاريخ 21/10.
- (14) ابن الأثير، الكامل في التاريخ، بيروت د ت، 84/5 وما تلاها.
- (15) ابن الأثير 74/5، 79.
- (16) الكامل لابن الأثير 88/5.
- (17) الطبري تاريخ الأمم والملوك 33/10.
- (18) ابن الأثير 79/5.
- (19) الطبري 33/10، 94.

(20) الطبري 34/10.

(21) الطبري 34 / 10.

(22) 223 / 8.

(23) الطبري 238 / 8.

(24) الطبري السابق والصفحة.

مصادر ومراجع:

الروضة الفيحاء: 255-256، تاريخ بغداد 4 / 430، تاريخ الطبري الجزء الثامن، تاريخ الخلفاء للسيوطي 185-188، أعلام النساء 1/338-339، فتوح البلدان 2 / 336، الأعلام 2 / 375-376، ابن حزم: نقط العروس.

الروضة الفيحاء في تواريخ النساء -لياسين بن خير الله العمري- تحقيق رجاء السامرائي، ط الدار العربية للموسوعات. علي إبراهيم حسن: نساء لهن في التاريخ الإسلامي نصيب، ط مكتبة النهضة المصرية 1970. انظر في انحرافات الوليد: المسعودي 3/223، الطبري: 4/288، 5 وما بعدها. سكتة الشهابي: تراجم النساء من كتاب تاريخ دمشق ص 411 ط 1982 وما تلاها. أبو الحسن المالقي: الحدائق الغناء في أخبار النساء "البيا وتونس 1978. فيه ترجمة نوار الجارية، عمر كحالة: أعلام النساء. بغداد 1973. ملكتان في بغداد، ترجمة عمر أبي النصر 1969. النساء الحاكمات في التاريخ: ترجمة إبراهيم داقوقي، ط مكتبة السعدون، وهناك كثير من المصادر التي تتعلق بالخيزران منها: الطبري تاريخ، المسعودي مروج الذهب، ط دار المعرفة بيروت 1983، في تراجم المهدي والهادي والرشد 3/319، ابن الأثير، الكامل 5/81، الفلاح عبد الحي بن العماد الحنبلي، شجرة الذهب في أخبار من ذهب 1/245، ط دار الأفاق الجديدة، بيروت، وغيرها.

بدونة زوجة توقيل ملك الروم

توفيت سنة 240 هـ

كانت أكفر من زوجها وأظلم منه، ولما مات زوجها سنة سبع وعشرين ومائتين، خلف ولداً صغيراً اسمه ميخائيل من زوجته الملعونة بدونة، فملك الروم بدونة وأظهرت ما عندها من المكر والغدر، واستمرت إلى سنة ثمان وثلاثين ومائتين، وجهزت في البحر ثلاثمائة مركب بالعساكر والعدد، وسيرتهم إلى قتال المسلمين، فقدموا إلى دمياط، وكبسوا المدينة، وأسروا ستمائة امرأة سوى الأطفال، وقتلوا كثيراً من الرجال، وعادوا إلى بلادهم، فكانت تفتخر، وتقول: أنا امرأة دُبرت وعملت على أسر ستمائة امرأة. وكثر شرها على المسلمين، ثم تسلّم روحها مالك، وسجنها في سجن، وأراح منها الموحدين سنة مائتين وأربعين. وعهدت بالملك لولدها ميخائيل. وفي الأمثال: لا تلد الذئبة إلا ذئبة.

المراجع:

- الروضة الفيحاء: 348. سماها انتاس ماري الكرمل: ثيودورة زوجة ثوفيل 227 هـ / 841، 842م.
- الروم سياستهم وصلاتهم بالعرب، لأسد رستم 1 / 327، وفيه ثيودورة، تاريخ الإسلام السياسي 3 / 231.

فضل الشاعرة اليمامية

توفيت سنة 257 هـ

حارية المتوكل، كانت شاعرة ماجنة، من أظرف أهل زمانها، ولها أخبار ملاح مُدَوِّنة، قال أبو الفرج الأصفهاني: كانت فَضْلَ مولدة من مولدات البصرة، وبها نشأت، وكان مولدها اليمامة.

قال محمد بن داود الجراح: إنها كانت عبديّة، وكذلك كانت تزعم هي، وتقول: إِنَّ أُمُّهَا عَلِقَتْ بِهَا من مولى لها من عبد القيس، وإنه مات وهي حامل بها، فباعها ابنه، فولدت على سبيل الرّق، وذكر عنها من جهة أخرى أَنَّ أُمُّهَا ولدتها في حياة أبيها، فزوّجها وأذهبها، فلما توفيَّ، تواطأ بنوه على بيعها، فاشتراها محمد بن الفرج الرُّخَجي، أخو عمر بن الفَرَج فأهداها إلى المتوكل. وكانت سمراء أديبة فصيحة، سريرة الهاجس، مطبوعة في قول الشعر، متقدمة لسائر نساء زمانها فيه.

وقال أحمد بن أبي طاهر: جُلِبَتْ فَضْلُ الشاعرة من البصرة فاشتراها رجل من النخاسين بعشرة آلاف درهم، فابتاعها محمد بن الفرج الرُّخَجي فأهداها إلى المتوكل، فكانت تجلس في مجلسه على كرسي تُعَارِضُ الشعراء بحضرته، فألقى عليها أبو دُلْف القاسم بن عيسى العجلي:

قالوا عشقتُ صغيرةً فأجبتهم أشهى المطيِّإي ما لم يُرَكَّبْ

كم بين حبةٍ لؤلؤٍ مشقوبةٍ لُبْسَتْ وَحَبَّةٌ لؤلؤٍ لم تُنْقَبْ

فقال فضل مجيبةً له:

إِنَّ الْمَطِيَّةَ لَا يَنْلُذُّ رَكُوبُهَا حَتَّى تُذَلَّلَ بِالرُّمَامِ وَتُرَكَّبْ

والخَبُّ ليس بنافعٍ أربابَه حَتَّى يُؤَلَّفَ بِالنِّسْطَامِ وَيُنْقَبْ

وعن أبي العيناء، قال: لما أُدْخِلْتُ فَضْلَ الشاعرة على المتوكل يومَ أهديث إليه

قال لها: أشاعرة أنت؟ قالت: كذا يزعم من باعني ومن اشترى، فضحك وقال: أنشدنا شيئاً من شعرك. فأنشدته قولها:

عام ثلاث وثلاثين	استقبل الملك إمام الهدى
وهو ابن سبع بعد عشرين	خلافة أفضت إلى جعفر
أن تملك الملك ثمانين	إننا لرجو يا إمام الهدى
عند دعاء لك: آمينا	لا قدس الله امرأ لم يقل

قال: فاستحسن الأبيات وأمر لها بخمسين ألف درهم.

وروى أبو الفرج الأصفهاني عن ابن المرزباني عن أبي العباس المروزي، قال: قال المتوكل لعلي بن الجهم: قل بيتاً وكل لفضل الشاعرة ثجرة، فقال: علي: أجزبي يا فضل:

لأد بها يشكي إليها
فأطرق هنيئة ثم قالت:

ولم يزل صارعاً إليها
فعاينته فزاد عيشاً
فمات وجداً فكان ماذا؟

فطرب المتوكل وقال: أحسنت وحياتي يا فضل، وأمر لها بألفي درهم.

وقال سعيد بن حميد، قلت لفضل الشاعرة أجزبي:

من لمحب أحب في صغره؟

فقلت غير متوقفة:

فصار أهدوئه على كبره

فقلت:

من نظم شفه فآرقه

فقلت:

فكان مبداً هوأه من نظره

ثم شغلته هنيئة ثم قالت:

لولا الأمانى لما ت من كَمَدٍ مَرُّ الليالي يزيْدُ في فِكْرِهِ

ليس له مُسْعِدٌ يُساعِدُهُ بالليل في طوله وفي قَصْرِهِ

قال: وبِهِ أخبرنا أبو الفرج قال: قرأتُ في بعض الكتب عن عبد الله بن المعتز قال: قال لي إبراهيم بن المدبر: "كانت فَضْلُ الشاعرة من أحسن خَلْقِ الله -عزُّ وجلُّ- خطأً، وأفصحهم كلاماً، وأبلغهم في مخاطبة، وأبَيَّتْهم في محاوره، فقلت يوماً لسعيد بن خَفِيد: أظنك يا أبا عثمان تكتب لَفَضْل رِقاها وتُفِيدها وتُخَرِّجُها فقد أخذتْ نحوك في الكلام وسلكتْ سبيلك. فقال لي وهو يضحك: ما أحسن ظَنِّكَ! ليتها تسلمْ مِنِّي: لا أخذْ كلامَها ورسائلها، و الله يا أخي لو أخذَ أفاضلُ الكُتَّاب وكبرأؤهم وأماثلهم عنها لما استَغْنَوْا عن ذلك.

وحدَّث أبو علي الرازي قال أنشدتنا فضل الشاعرة لنفسها:

الصَّبْرُ يَنْقُصُ والبلاءُ يَزِيدُ والدارُ دانيةٌ وأنتَ بعيدُ

أشكوك أم أشكو إليك فَإِنَّهُ لا يستطيعُ سِواها المُجهودُ

وحدَّث أبو علي تَطَاحَة قال: خرج بعض الهاشميين يوماً من منزل بعض إخوانه في الليل، فرأى امرأة ذات لِبَاسٍ وَجَمالٍ، وحوَّلها نسوة قد خَفَقْنَ بها، وهي في وسطهن.

فقال:

إِنَّ أَخا الظلَماءِ مُسْتَرابٌ

وأسمع النسوة فأجابته التي خَفَقْنَ بها في أسْرَعٍ من نَفْسٍ:

إلا مُجِئاً شاقَّةُ الأحبابِ

فسأل عن المرأة فإذا هي فضل الشاعرة. ذكر محمد بن داود بن الجراح في كتابه الورقة (لم يرد الخبر في كتاب الورقة المطبوع) في أخبار الشعراء المحدثين قال: فضل الشاعرة العبديّة مولاة المتوكل أشعر امرأة كانت في هذا العصر، ومن قولها في السُّخَر:

قد بدا شِبْهُكَ يا مو لا ييَّ يحدو بالظلام

فانتبه نقض لبانا بَ اغتباقي والثام

قبل أن تفصحنا عو دة أرواح النيام

ذكر بعض المؤرخين أنَّ فضلَ الشاعرة تُوفيت سنة سبع وخمسين ومائتين.

المراجع:

أخبارها وأشعارها في الأغاني 17 / 4-8، 21 / 114-120 ط ساسي، أمالي القالي، الذيل ص 86. طبقات الشعراء لابن المعتز ص 426، المنتظم لابن الجوزي 5 / 706، فوات الوفيات 2 / 348، المحاسن والأضداد المنسوب للجاحظ: 152، تاريخ الخلفاء للسيوطي: 360 ط الهند، بدائع البدائنه: 29، 60، يندات البلاط العباسي: 82، عن نساء الخلفاء المسمى جهات الأئمة الخلفاء من الحرائر والإماء لابن الساعي، تحقيق مصطفى جواد، ط دار المعارف، مصر 1993. ص 84-90.

قبيحة

توفيت بعد سنة 296 هـ

كانت مولاة العباس بن الحسن وزير المقتدر بالله، من نساء العصر العباسي الثاني اللواتي كان لهن سطوة على أولادهن من الخلفاء، وقد كُنَّ يشرفن على شؤون الدولة، ويشتركن في تدبير أمور الحكم، وكان لهن أكبر الأثر في سير الحوادث في بغداد.

تزوجها المتوكل الخليفة العباسي، وكان كغيره من خلفاء عصره مدمناً على شرب الخمر، وكان شغوفاً بقبيحة أم ولده المعتز، وقد سميت قبيحة لحسنها وجمالها، كما كان يسمى الأسود كافوراً. ومما يدل على علو مكانة قبيحة وتمكنها من نفس المتوكل ما روي بأن المتوكل كلمها يوماً كلاماً أجاته بعبارات أغضبت، فرماها بمخدة فأصابت عينها فأثرت فيها، فتأوهت وبكت، وبكى المعتز لبتائها، فخرج المتوكل وقد حُم من الغضب، فدعا علي بن الجهم فقال له: قل يا علي في عنتي هذه شيئاً، وصِف أن الطبيب ليس يدرى ما بي. فقال⁽¹⁾:

تنكر حال عنتي الطبيب	وقال أرى بجمك ما يريب
جئتُ العرق منك فذل جسي	على ألم له خسر عجب
فما هذا السذي بك هات قل لي	فكان جوابه مني النحيب
وقلت أيسا طبيب الهجر دلي	وقلبي يا طبيب هو الكتيب
فحرك رأسه عجباً لقولي	وقال الخب ليس له طبيب
فأعجبني الذي قد قال جذاً	وقلت بلى إذا رضي الحبيب
فقال هو الشفاء فلا تُقصر	فقلت أجل ولكن لا يُجيب
ألا هل مُسجد يبكي لشجوي	فإني هانم فزد غريب

فقال: أَحَسَّنْتَ وحياتي، يا غلام اسقني قدحاً، فجاءه بقدح فشرب وشُقيت الجماعة مثله. وقرأت فضل الشاعرة أبياتاً أمرتها ببيعة أن تنشدها للمتوكل، فأعجب به وقال المتوكل: أحسنت يا فضل وأمر لها بعشرين ألف درهم، ودخل إلى قبيحة فترضاها، ولما تمت البيعة للمعتز وخلع المستعين أنفذ إليه أهله وولده، فأقام بواسط مدة، واجتمع غلمان المتوكل وقالوا: نخاف من كيد يلحق المعتز من المستعين، فصار إلى قبيحة أمه، فعرفوها ذلك وخوفوها منه، وقوي الخوف في نفسها فاضطربت له، فعزمت على قتله، فحضر الأولياء وتشاوروا في ذلك، فأشاروا به، فكتبت قبيحة إلى أحمد بن طولون: إذا قرأت كتابي فجنني برأس المستعين، وقد قللتك واسط.

فلما وصل الكتاب إليه اغتم غمّاً عظيماً وكتب إليها يقول: و الله لا يراني الله عز وجل أقتل خليفة له في رقبتي بيعة وإيمان مغلظة أبداً.

فلما ورد كتابه بذلك زاد به في قلوب الأتراك محلاً كبيراً، ووسموه بحسن التوقف، وجميل المذهب، ووجهوا إلى أحمد بن طولون لما امتنع من قتله بسعيد الحاجب، وكتبوا إليه ليسلم المستعين إليه وينصرف عن واسط إلى سُرْ مَنْ رأى،

ففعل ذلك، وأحمد الناس كلهم فعل أحمد بن طولون، وشكره عليه الخاص والعام. وقتل سعيد الحاجب المستعين.

ولما تولى المعتز الخلافة أهداه ابن طاهر هدية فيها مائتا صيف ووصيفة، وفي الهدية جارية يقال لها محبوبية كانت لرجل من أهل الطائف، وقد أدبها وثقفها وعلمها مختلف صنوف العلم، وحلت من قلب المتوكل في أسمى مكان، ولم يكن أحد يعدلها عنده، حتى فضل ابنها المعتز على سائر أولاده في وراثة عرش الخلافة رغم أحقيتهم عنه في شغله⁽²⁾.

وفي سنة 235 هـ ولي المتوكل العهد أولاده: محمداً، وسماء المنتصر، وأبا عبد الله ابن قبيحة وسماء

المعتز، وإبراهيم وسماء المؤيد. ورأى المتوكل أن يقدم

ابنه المعتز على أخويه المؤيد والمنتصر لمحبتة لقيحة أم المعتز، إلا أن المنتصر غضب لذلك، وذُبر مع الأتراك مؤامرة لاغتيال المتوكل قتل وخلفه المنتصر، ولم تكن صلة المنتصر بالأتراك جيدة، فقد انقلب عليهم وصار يذمهم باعتبارهم قتلة الخلفاء، فقرر الأتراك قتله، وأغروا طبيبه ابن طيفور ورشوه بثلاثين ألف دينار فسمه، ومات المنتصر مسموماً وهو في السادسة والعشرين من عمره سنة 248 هـ.

وبعد المنتصر بويح المستعين بالله، لأن العباسيين لم يأمّنوا جانب الأتراك، فولوا الخلافة لمن يطمنون إليه من أمراء البيت العباسي، فلم يولوا أحداً من أولاد المتوكل⁽³⁾.

وأُتيح لقيحة أن تظهر مرة أخرى على مسرح السياسة في بغداد، وذلك لما رأى الأتراك تنكر المستعين لهم، خلعه واعتلى عرش الخلافة ابن عمه المعتز ابن المتوكل ولد قبيحة، وله من العمر تسع عشرة سنة. وأخرج الخليفة المعزول إلى بلدة واسط، واختار الأتراك أحمد بن طولون ليصحبه، فأحسن إليه وأطلق له الحرية في التنقل والصيد، وعلى الرغم من ذلك الفوز الذي أحرزه الأتراك بخلع المستعين ونفيه، فإنهم أوجسوا شراً من بقائه حياً، وأوعزوا إلى المعتز أن خلافته لن تثبت إلا إذا قتل المستعين، ووافقهم على ذلك قبيحة أم المعتز التي خافت على حياة ولدها أن تمتد إليها يد الأعداء، فكتبوا إلى ابن طولون يطلبون إليه قتل المستعين وممنونه بولاية واسط، فلم يرش أن يقتل خليفة له في رقبته بيعة، فأرسلوا سعيذاً الخادم أحد حجاب القصر في شذمة من الجيش إلى بلدة واسط، فتولى قتل المستعين بنفسه⁽⁴⁾.

وسار الأتراك سنة 255 هـ إلى المعتز يطلبون أرزاقهم فقالوا: أعطنا خمسين ألف دينار حتى نقتل صالح بن وصيف، فلم يكن عنده ما يعطيهم، فأرسل المعتز إلى أمه قبيحة يسألها أن تعطيه ما يعطيهم. فأرسلت إليه: ما عندي شيء.

فلما رأى الأتراك أنهم لا يحصل لهم من المعتز ولا من أمه، وليس في بيت المال شيء، اتفقت كلمتهم وكلمة المغاربة والفراغنة على خلع المعتز فخلعوه.

ثم ما لبث الأتراك أن قبضوا على المعتز وقتلوه. ويصف ابن الأثير قتل المعتز في هذه العبارة: "فدخل إليه جماعة منهم فجروه برجله إلى باب الحجرة، وضربوه بالدبابيس وخرقوا قميصه وأقاموه في الشمس في الدار، فكان يرفع رجلاً ويضع أخرى من شدة الحر، وكان بعضهم يلطمه وهو يتقي بيده، وأدخلوه حجرة، وأحضروا ابن الشوارب وجماعة أشهدوهم على خلعه، وشهدوا على صالح بن وصيف أن للمعتز وأمه وولده وأخته الأمان، وكانت أمه قبيحة قد اتخذت في دارها سرداباً فخرجت منه هي وأخت المعتز. وكانوا قد أخذوا عليها الطريق ومنعوا أي أحد أن يجوز إليها، وسلموا المعتز إلى مَنْ يعذبه، فمنعه الطعام والشراب ثلاثة أيام فطلب حسوة من ماء البئر فمنعوه، ثم أدخلوه سرداباً وحصحصوا عليه فمات"⁽⁵⁾.

وأما أم المعتز، فلما أيقنت بالهلاك عملت في الخلاص، فأخرجت ما في الخزائن من الأموال والجواهر وغيرها فأودعته، واحتالت فحشرت سرباً في حجرة لها إلى موضع يقوت التفتيش، فلما وقعت الواقعة على المعتز بادرت فخرجت من ذلك السرب. وبعد أن فرغوا من المعتز طلبوها فلم يجدوها ورأوا السرب فخرجوا منه فلم يقفوا على خبرها، وبحثوا عنها فلم يظفروا بها.

ثم رأت قبيحة أن ابنها قُتل وأن الذي تختفي عنده يطمع في مالها وفي نفسها، ويتقرب بها إلى صالح بن وصيف، فأرسلت امرأة عطارة إلى ابن وصيف فتوسطت بينهما، وظهرت وكان لها أموال ببغداد فأحضرتها، وهي مقدار خمسمائة ألف دينار، وظفروا لها بخزائن تحت الأرض فيها أموال كثيرة، ومن جملتها دار تحت الأرض وجدوا فيها ألف ألف دينار وثلاثمائة ألف دينار، ووجدوا في سفت قدر مكوك زمرد لم يز الناس مثله، وفي سفت آخر مقدار مكوك من اللؤلؤ الكبار، وفي سفت مقدار كبلة من الباقوت الأحمر الذي لم يوجد مثله، فحمل كل ذلك إلى

صالح. وقد قُدِّر ابن تغري بردي قيمة الجواهر بألف ألف دينار، فسبها وقال: عُرِضَتْ ابنها للقتل في خمسين ألف دينار، وعندها هذه الأموال كلها.

استخفت قبيحة بعد ابنها المعتز، خوفاً على حياتها من شر صالح بن وصيف، وأخفت ما عندها من المال وقدره 1800000 مليون وثمان مئة ألف دينار، عدا كثير من الحواهر والحلي والزمرد واللؤلؤ والياقوت الذي لا تقدر له قيمة، ومن الغريب إنها عُرِضَتْ ابنها للقتل، ورفضت أن تدفع للثائرين من الأتراك الذين تأخرت رواتبهم خمسين ألف دينار.

وقد رثى الشعراء المعتز بقصائد، تبين مدى تغلغل نفوذ الأتراك في الدولة العباسية وانتهاكهم حرمة الخلافة، ومن ذلك:

كريم الأخلاق غير جزوع	قتلوه ظلماً وجوراً فأنفوه
السيوف على القتل الخلع	لم يهابوا جيشاً ولا رهبوا
والعالم ما بين سامع ومطيع	أصبح الترك مالكي الأمر
ر سيجزيهم بقتل ذريع	وترى الله فيهم مالك الأمو

ثم سارت قبيحة إلى مكة، فُسِمِعَتْ وهي تدعو بصوت عال على صالح بن وصيف وتقول: اللهم اخزِ صالحاً كما هتك سري، وقتل ولدي، وشتت شملتي، وأخذ مالي، وغرُبني عن بلدي، وركب الفاحشة في. وفي عهد الخليفة المهدي، ظهرت قبيحة أم المعتز بعد أن استخفت مدة⁽⁶⁾ وكانت وفاتها بعد سنة

الهوامش

- (1) الشعر لعلي بن الجهم في ديوانه: 106-107.
- (2) المسعودي: مروج الذهب 2/ 295-296.
- (3) حسن إبراهيم حسن: تاريخ الإسلام السياسي 2/ 32-33.
- (4) علي إبراهيم حسن: مصر في العصور الوسطى ص 51.
- (5) حصصوا عليه: جعلوه في بيت وسدوا بابه، ابن الأثير 7/ 68-69.
- (6) المسعودي: مروج الذهب 2/ 429-430.

المراجع:

ديوان علي بن الجهم، مروج الذهب للمسعودي، تاريخ الإسلام السياسي، نساء لهن في التاريخ

نصيب: علي إبراهيم حسن: 84-86.

شغب أم المقتدر العباسي

توفيت سنة 321 هـ

شغب أم جعفر "المقتدر بالله" العباسي: مدبرة حازمة، كانت من جواري المعتضد بالله أبي جعفر، وأعتقها وتزوجها، ولما آلت الخلافة إلى ابنها المقتدر سنة 295 هـ وعمره ثلاث عشرة سنة، قامت بتوجيهه، واستولت على أمور الخلافة، وأمرت سنة 306 هـ قهرمانه لها اسمها "ثمل" أن تجلس للنظر في عرائض الناس، يوماً في كل جمعة، فكانت تجلس ويحضر الفقهاء والقضاة والأعيان وتبرز التواقيع، وعليها خطها، ولما ثار عبد الله بن حمدان على المقتدر، وناصره بعض رجال المقتدر، وخلعوه سنة 317 هـ استر عند أمه، وقيل: حمل هو وأمه إلى دار مؤنس المطفر، وكان لها ستمائة ألف دينار في الرصافة، فأخذت. ثم لم تلبث أن عادت إلى تدبير الشؤون بعد قمع الثورة، في السنة نفسها، وظلت إلى أن قتل ابنها سنة 320 هـ وولي "الظاهر" فضربها وعذبها، ثم نقلها الحاجب علي بن بليق إلى داره وجعلها عند والدته، وأكرمها ورفهها، إلا أن عثتها من ضرب القاهرة اشتدت عليها، فتوفيت، ودفنت بتربتها بالرصافة، قال ابن تغري بردي: كان لها الأمر والنهي في دولة ابنها، وكانت سالحة، وكان متحصلها في السنة ألف ألف دينار، فتصدق بها وتخرج من عندها مثلها، من آثارها بيمارستان أنشأته ببغداد، وكان طبيبه سنان بن ثابت، كان مبلغ النفقة فيه في العام سبعة آلاف دينار⁽¹⁾.

أدى تدخل النساء في أمور الدولة في العصر العباسي، إلى ضعفها وحرمانها من وزرائها الأكفاء، واستهتار العامة بها، ووضعت تلك الظاهرة في عهد الحليفة المقتدر حين أصبح الأمر والنهي بيد أمه، وكانت تسمى "السيدة"، وهي سيدة رومية، وقد بلغ من ازدياد نفوذها أنها كانت إذا غضبت هي أو قهرمانتها⁽²⁾ من أحد الوزراء أصبح مصيره العزل لا محالة.

وليس هذا هو كل ما كانت تتمتع به السيدة من نفوذ، فقد اتسعت سلطتها إلى حد أنها استطاعت أن تعين سنة 206 هـ قهرمانتها "ثومال" صاحبة للمظالم.

وبذلك تعدى الأمر من جلوس الوزراء للمظالم إلى جلوس بعض النساء، إذ كانت ثومال تجلس في الرصافة وتنتظر في رفاق الناس كل جمعة، وتحضر القضاة والأعيان، وتبرز التواقيع وعليها خطها، وكان من أثر هذا التعيين أن استهتر العامة بالخلافة، فنظروا إلى أحكامهم نظرة احتقار وازدراء، ولم تكن محكمة المظالم تنظر في قضايا الأفراد وحدها، بل تعدى اختصاصها إلى الفصل في شكاوى الشعب عامة.

وفي ذلك يقول صاحب الفخري: "واعلم أن دولة المقتدر كانت دولة ذات تخطيط كثير لصغر سنه، ولاستيلاء نسائه عليه، فكانت دولة تدور أمورها على تدبير النساء، فخربت الدنيا في أيامه، وخلت بيوت الأموال، واختلفت الكلمة، فخلع، ثم أعيد ثم قُتل"⁽⁴³⁾ واستأثرت السيدة أم المقتدر بنفوذ كبير في الدولة العباسية، وليس أدل على عظم نفوذها وتدخلها في شؤون الدولة، وتمتعها بنفوذ أقوى من نفوذ الخليفة، من ذلك الكتاب الذي بعث به إليها الوزير المصلح علي بن عيسى، يتصل فيه من التصرفات التي نسبتها إليه في إدارة شؤون الدولة المالية، وكان مصير هذا الوزير العزل، رغم ما قام به من إصلاح، وحرمت الدولة من الاستفادة بمواهبه الممتازة وسياسته الرشيدة.

وفي ذلك يقول ابن الأثير: "لما كان آخر ذي القعدة سنة 304 هـ جاءته أم موسى القهرمانة، لتتفق معه على إصلاح ما يحتاج إليه حرم الدار والحاشية من الكسوات والنفقات، فوصلت إليه وهو نائم، فقال لها حاجبه: إنه نائم ولا أجسر أن أوقظه، فاجلسي في الدار ساعة حتى يستيقظ، فغضبت من هذا وعادت. واستيقظ علي بن عيسى في الحال، وأرسل إلى حاجبه وولده يعتذر، فلم تقبل منه، ودخلت على المقتدر وتخرصت"⁽⁴⁴⁾ على الوزير عنده وعند أمه، فعزله عن الوزارة وقبض عليه ثامن ذي الحجة"⁽⁴⁵⁾.

وكذلك عملت السيدة على عزل الوزير أبي العباس أحمد بن عبد الله بن أحمد الخصيب،
وصودرت أمواله في سنة 314 هـ وفي عهد الوزير حامد بن العباس، ازداد نفوذ السيدة، على حين كان
ال خليفة قابلاً في داره⁽⁶⁾.

وقد قص الصولي الذي تتلمذ عليه الرازي بن المقتدر وهو أمير، قصة تبين لنا عدم اهتمام السيدة
وقهرمانتها بتشنة الأمراء، تشنة قوامها التوفر على العلم، وتوجيههم وجهة صالحة في الإمام بنظم الحكم
والوقوف على أحوال الدولة وعلاقاتها بغيرها من الدول، بل على خلاف ذلك لم يأبهن أن يكون الأمير أو
ولي العهد متعلماً مثقفاً، إنما يرونه ضعيفاً غير ملم بشؤون الحكم، وقد أدى ترك الخلفاء النساء يتدخلن
في شؤون الدولة ويصرفن شؤونها والأخذ بآرائهم والرجوع إلى أقوالهن، إلى اتساع سلطانهن، حتى كن
يأمرن بعزل الوزراء بمجرد صدور أية هفوة من أحدهم، وبدأت ظاهرة جديدة في العصر العباسي الثاني،
هي كثرة تولية وعزل الموظفين، حتى إنه عين في يوم واحد تسعة عشر ناظرًا للكوفة، وأخذ من كل واحد
منهم رشوة، وولي الوزارة في عهد المقتدر اثنا عشر وزيراً، كان لكل منهم أتباع ومحاسيب وصنائع، وحرص
كل من هؤلاء الوزراء على تقديم المال لنساء القصر ليضمن بقاءه في الوزارة.

ويقول الصولي: "وإني لأذكر يوماً في إمارته وهو يقرأ عليّ شيئاً من شعر بشأنه، وبين يديه كتب لغة
وكتب أخبار، إذ جاء خادم من خدم جدته السيدة، فأخذ جميع ما بين يديه من الكتب، فجعلوه في منديل
كان معهم، وما كلمونا بشيء، ومضوا، فرأيتهم قد وجم لذلك واغتاظ.. ومضت ساعات أو نحو ذلك، ثم ردوا
الكتب بحالها... وقالت السيدة: ما نريد أن يكون أولادنا أدباء ولا علماء، وهذا أبوهم قد رأينا كل ما نحب
فيه وليس بعالم، فاعمل على ذلك..."⁽⁷⁾ سنة 296 هـ

وفي سنة 296 هـ خُلع الخليفة جعفر المقتدر من الخلافة وبويع عبد الله بن المعتز بالخلافة،
وسبب خلعه صغر سنه وقصوره عن تدبير الخلافة واستيلاء أمه القهرمانة على الخلافة، وكانت أمه أم ولد
تُسمى شَعْب، فاتفق الجند على قتله

وقتل وزيره العباس بن الحسن وقتل فاتك المعتضدي. وثبوا على هؤلاء وقتلوههم، وكان المقتدر بالخَلْبَة يلعب بالصولجة⁽⁸⁾ أعني بالكرة على عادة الملوك، فلما بلغه قتلهم نزل وأغلق باب القصر فبايعوا عبد الله بن المعتز بشروط شرطها عبد الله عليهم، وكان عبد الله بن المعتز أشعر بني العباس ومن خيارهم، ولقبوه بالمنصف بالله، وقيل: بالغالب بالله، وقيل: بالراضي بالله، وقيل بالمرتضى واستوزر محمد بن داود بن الجراح.... وحُلع عبد الله بن المعتز من يومه وقُتل من الغد، وكانت خلافته يوماً وليلة، وقيل بل نصف نهار وهو الأصح، وقُتل جماعة من القضاة والفُهاء الذين اتفقوا على خلع المقتدر، قتلهم مؤنس الخادم، وأعيد جعفر المقتدر إلى الخلافة⁽⁹⁾.

وفي سنة ست وثلاثمائة قُتح بيمارستان السيدة أم المقتدر ببغداد، وكان طبيبه سنان بن ثابت، وكان مبلغ النفقة فيه في العام سبعة آلاف دينار، وفيها أمرت أم المقتدر ثُمَل القهرمانة، أن تجلس بالتربة التي بنتها بالرصافة، للمظالم وتنتظر في رقاق الناس في كل يوم جمعة، فكانت ثُمَل المذكورة تجلس ويحضر- الفُهاء والقضاة والأعيان، وتبرز التواقيع وعليها خطها، وفيها حج بالناس الفضل بن عبد الملك الهاشمي، وقيل: أحمد بن العباس أخو أم موسى القهرمانة.

وفي سنة 310 هـ عشر- وثلاثمائة قبض الخليفة المقتدر على أم موسى القهرمانة وصادر أخاها وحواشيها وأهلها، وسبب ذلك أنها زوجت بنت أخيها أبي بكر أحمد بن العباس، من أبي العباس محمد بن إسحاق بن المتوكل على الله، وكان من سادة بني العباس يترشح للخلافة، فتمكن أعداؤها من السعي عليها، وكانت قد أسرفت بالمال في جهازها، وبلغ المقتدر أنها تعمل له على الخلافة، فكاشفتها السيدة أم المقتدر وقالت: قد دُبرِ على ولدي، وصاهرت ابن المتوكل حتى تقعديه في الخلافة، فسلمتها إلى ثُمَل القهرمانة ومعها أخوها وأختها، وكانت ثُمَل مشهورة بالشر- وقساوة القلب، فصبت عليهم العذاب واستخرجت منهم الأموال

والجواهر، يقال: إنه حُصِّل من جهتهم ما مقداره ألف ألف دينار، وفيها قلد الخليفة المقتدر نازوك الشرطة بمدينة السلام مكان محمد بن عبد الله بن طاهر.

وفي سنة 317 سبع عشرة وثلاثمائة، حُلِع أمير المؤمنين المقتدر بالله جعفر من الخلافة، خلعه مؤنس الخادم ونازوك الخادم وأبو الهيجاء عبد الله بن حمدان، وأحضروا من دار الخلافة محمد بن الخليفة المعتضد، وبايعوه بالخلافة ولقبوه بالقاهر لله ... ووقع النهب في دار الخلافة، وكان لأُم المقتدر ستمائة ألف دينار في الرصافة فأخذت، واستتر المقتدر عند أمه⁽¹⁰⁾، وبعد ثلاثة أيام حضرت الرجالة من الجند وامتألت دار الخلافة وازدحم الناس، ودخلوا إلى المقتدر وحملوه على رقابهم، وصاحوا: يا مقتدر يا منصور، وخرجوا به، وبايعوه ثانياً بالخلافة بعد أمور وقعت بين القواد والجند من وقائع وحروب... ثم استقر بعد هذه في الخلافة إلى أن مات.

وقيل: استمر المقتدر على خلافته إلى أن حصل بينه وبين الحاجب مؤنس الخادم وحشة فهرب مؤنس إلى الموصل وملكها وجمع العساكر، وعاد إلى بغداد فخرج إلى حربه المقتدر، فقتل وحُمل رأسه على رمح إلى عند مؤنس سنة تسع عشرة وثلاثمائة، ثم صلبوا جثة المقتدر وهو مكشوف العورة فلا رحم الله مؤنساً، ثم صادر أصحاب المقتدر وقبض على أمه القهرمانة، وتبعه بذلك الخليفة القاهر محمد أخو المقتدر لأبيه، وعذب القهرمانة، وسألها عن الأموال فاعترفت بما عندها من المصاغ والثياب، فضربها الضرب الشديد وعلقها من رجلها منكرة حتى كان يجري بولها على وجهها، وماتت سنة عشرين وثلاثمائة

وكانت خلافة المقتدر خمساً وعشرين سنة إلا بضعة عشر يوماً، وكانت النساء قد غلبن عليه، وكان سخياً مبذراً يصرف في السنة للحج أكثر من ثلاثمائة ألف دينار، وكان في داره أحد عشر ألف غلام خصي غير الصقالبة والروم، وأخرج جميع جواهر الخلافة ونفائسها على النساء وغيرهن، وأعطى الدرة اليتيمة لبعض

حضاياه، وكان زنتها ثلاثة مثاقيل، وأخذت زيدان القهرمانة سُبحة جوهر لم يُزَ مثلها قيمتها ثلاثمائة ألف دينار....

وفي سنة 320 هـ قتل المغاربة والبربر المقتدر، وكان المقتدر ثقیل البدن عظیم الجثة، فلما قتلوه رفعوا رأسه على خشبة وهم يكبرون ويلعنونه، وأخذوا جميع ما عليه حتى سراويله، وتركوه مكشوف العورة إلى أن مرَّ به رجل من الأكرة فستره بحشيش ثم حُفر له موضعه وذُفن وعفي قبره⁽¹¹⁾.

ومات المكتفي بالله أخو المقتدر لأبيه، وعمره ثلاث عشرة سنة، فدبر مملكته أمه القهرمانة، وكان المقتدر مولعاً بحب النساء حتى انه أعطاهن جميع ما عنده من الجواهر النفيسة، واستمرت القهرمانة تدبر المملكة إلى أن كثر الضرر وعمُ الناس في البر والبحر، وغارت الروم على الثغور الجزرية، وملك المهدي العلوي مدينة الإسكندرية، فعند ذلك أيقظت همّة ولدها المقتدر، وأمرته أن يجلس للمظالم ووهبت وأعطت، وأنعمت على أرباب الدولة وذلك سنة خمس وثلاثمائة، وقدم رسول الروم إلى بغداد فاصطفت العساكر وكانوا مائة ألف وستين ألفاً، ووقفت الغلمان والخصيان والخدام وهم سبعة آلاف⁽¹²⁾.

ثم إن الله اقتص من مؤنس الخادم فقتله القاهر، وفي سنة إحدى وعشرين وثلاثمائة، قبض المماليك على القاهر وخلعوه وسملوا عينيه، وبقي يسأل الناس الصدقة وذلك لشدة ظلمه، وقطع رحمه و الله أعلم.

وماتت في هذه السنة 317 هـ ثمل القهرمانة وخلفت أموالاً كثيرة.

وفي سنة 321 هـ توفيت السيدة شغب أم الخليفة المقتدر بالله جعفر، كان متحصلها في السنة ألف ألف دينار، فتتصدق بها وتخرج من عندها مثلها، وكانت صالحة، ولما قتل ابنها كانت مريضة، فقوي مرضها وامتنعت من الأكل حتى كادت تهلك، ثم عذبها القاهر حتى ماتت، ولم يظهر لها إلا ما قيمته مائة وثلاثون ألف دينار، وكان لها الأمر والنهي في دولة ابنها.

الهوامش

- (1) الأعلام 3 / 168، القهرمانة: المسيطرة على من تحت يدها.
- (2) ابن طباطبا: الفخري ص 240.
- (3) تخرصت: كذبت.
- (4) ابن الأثير، تاريخه 8 / 37.
- (5) حسن إبراهيم وعلي إبراهيم: النظم الإسلامية ص 160.
- (7) الصولي ص 24-25.
- (8) الصولجة: العود المعوج يضرب به الكرة على الدواب.
- (9) النجوم الزاهرة 3/164.
- (10) وفي ابن الأثير وتجارب الأمم: وحمل المقتدر وأمه وأولاده وخالته إلى دار مؤنس المظفر.
- (11) الكامل: ابن الأثير حوادث سنة 320 هـ.
- (12) الروضة الفيحاء ص 273.

المراجع:

- الروضة الفيحاء 272. سيدات البلاط العباسي 88-93، النجوم الزاهرة 3 / 164، 193، 204، 223، 239، تاريخ الخلفاء 378.
- ابن طباطبا: الفخري. الصولي: الكامل لابن الأثير. علي إبراهيم وحسن إبراهيم: النظم الإسلامية.
- الزركلي: الأعلام.

صبيحة

توفيت سنة 398 هـ

صبيحة سيدة نابهة الذكر قوية الشخصية، واسعة النفوذ، انتشر سلطانها في بلاد الأندلس فترة طويلة من الزمن، وكان لها أعظم الأثر في تسيير دفة الأمور، والتأثير في مجرى الحوادث الجارية في البلاد، واقترن اسمها بالنهضة العلمية والاقتصادية، وذلك الأمن والنظام الذي رفرق على ربوع الأندلس، في عهد زوجها الخليفة الحكم المستنصر بالله، وعهد وصايتها على ابنها الخليفة هشام ابن الحكم.

اعتلى عرش الخلافة الحكم المستنصر بعد موت أبيه عبد الرحمن الناصر، وكان المستنصر - في الثامنة والأربعين من عمره، وكان من أكابر الأمراء وله دراية بشؤون الإدارة وقيادة الجيوش، كان يحب الشعر والموسيقى، وسمع ذات يوم صوتاً جميلاً وهو ينتزه في حدائق الزهراء في قرطبة، وعرف أنه صوت فتاة جميلة، هي صبيحة التي أصبحت فيما بعد زوجة الخليفة، وأماً لولدين ثانيهما هشام ولي العهد الذي ورث عرش الأندلس بعد أبيه، وازدادت مكانة صبيحة في قلب الخليفة بمولد ولديها، وكان يدعوها على الدوام باسم "صبح".

وكان الحكم من الخلفاء الذين يشجعون العلم ويحترمون العلماء ويجزلون لهم العطاء، وعرف ذلك عن الخليفة في سائر الأقطار، حتى رحل إلى الأندلس كثير من أهل العلم والأدب، وحفل جامع قرطبة بالحكماء الذين عهد إليهم التدريس لطلاب العلم، ومن أبرز هؤلاء الطلاب، محمد بن أبي عامر الذي أصبح فيما بعد وزير الأندلس الملقب بالمنصور.

هياً انصراف الخليفة إلى أمور العلم، الفرصة لزوجته صبيحة لمشاركته في إدارة شؤون الحكومة، وأظهرت في ذلك الميدان حكمة وكياسة، فأشركها معه الخليفة علناً ومنحها سلطات واسعة، وأصبحت معه صاحبة السلطان المطلق والكلمة النافذة، وكثرت أعمالها فرغب الخليفة في اختيار كاتب قدير يقوم بتحرير

أوامر الملكة وتبليغها إلى مختلف الجهات، ووقع الاختيار على محمد بن أبي عامر، ذلك الشاب الذي تلقى علومه في جامع قرطبة على يدي علماء عصره.

كانت السلطة اسمية في يد الخليفة الحكم، أما السلطان الفعلي فكان في يد صبيحة، التي أصبحت محط رجال الشعراء والأدباء، يلجأ إليها وجوه القوم وأعيان البلاد لقضاء حاجاتهم، ويقف الشعراء على بابها ينشدونها مدائحهم طلباً لرضائها وطمعاً في مالها، وصار بلاطها مقصد السفراء من مختلف الممالك، كما أرسدت مجالس الحكم، وأشرفت على تدبير الخطط اللازمة للدفاع عن البلاد، يعاونها الحاجب جعفر المصحفي والكاتب محمد بن أبي عامر⁽¹⁾.

أصبح الخليفة الحكم زوج صبيحة كماً مهملاً، وصار نسياً منسياً، ولم يقدر عواقب إسناد وظيفة الكاتب إلى شاب وسيم، مثل ابن أبي عامر، لم يتجاوز السادسة والعشرين من عمره، فإنه ما لبث أن أصبح مستشاراً لها، وعهدت إليه إدارة ضياعها وممتلكات ابنها هشام ولي عهد الأندلس، وقدر المدير الجديد لضياع الأميرة ما غمرته به من الخير العميم، فقدم إليها عدداً من الهدايا النفيسة، مما كلفه أموالاً طائلة، جعلت الناس يتساءلون عن مصدرها، وحين اتصل ذلك بمسامع الخليفة، دعاه إلى تقديم حساب عن أموال الحكومة التي في عهده، وكان ابن أبي عامر قد تصرف في تلك الأموال، تصرفاً دعاه إلى الاستدانة حتى يكمل العجز الذي حلّ بها نتيجة إسرافه في تلك الهدايا، وتوصل بذلك إلى موازنة تلك الأمور، فوثق به الخليفة وأرسله إلى مراكز مراقبة دفاتر بيت المال وكشف أموال غالب القائد الأكبر المقيم هناك، ولكن ابن أبي عامر عاد بعد قليل إلى قرطبة بعد إنجاز مهمته⁽²⁾.

ونجحت صبيحة، بعد أن تبين لها أن الخليفة على وشك الموت، في عقد مجلس كبير يضم أشرف الأندلس وأعيانها. وفي ذلك الاجتماع قرأ الخليفة على الحاضرين صيغة إقرار بقبولهم تولي ابنه هشام الخلافة من بعده، وكان في الحادية عشرة من عمره، وأبعد بذلك المغيرة شقيق الحكم عن العرش، وكان شاباً في

السادسة والعشرين من عمره، ونجح ابن أبي عامر في نشر الدعوة لهشام بين وجوه الأندلس، وكافاه الخليفة بتعيينه مفتشاً عاماً للقصر السلطاني.

مات الخليفة وهو في الرابعة والستين من عمره، تاركاً ابنه هشاماً تحت وصاية أمه صبيحة، وحين اتصل بعلمها نبأ تأمر أتباع المغيرة على الخليفة الجديد وأهله وأعوان أبيه، دبرت مؤامرة قضت بها على حياة المغيرة، وخلا الجو لها بعد ذلك، لأن ابنها كان لا يزال طفلاً لا يستطيع إدارة شؤون البلاد، وظهرت أمه صبيحة على المسرح بمظهر الوصية والمملكة الفعلية ومدبرة السياسة الأندلسية، وجذبت محبة الشعب بتخفيضها الضرائب عن كاهله مما أعلى قدرها ورفع من شأنها.

ولكن الدهر قلب لها ظهر المجن، فإن معيها وساعدها الأيمن ابن أبي عامر، الذي أحبته وقدرته ورفعته إلى أعلى المناصب وحمته من غضب الشعب وحساب الخليفة، ما لبث أن تكبر وتجر، بعد أن انتصر على الفرنجة وأبعد خطرهم عن البلاد، وعاد ظافراً مزموماً، مما جعله يفكر في الانفراد دونها بالحكم والسلطان، وإبعاد هشام عن أمور الدولة، بل وعن منصب الخلافة ليصل هو إليه، وكان ذلك سبباً في تعكير العلاقات بينه وبين صبيحة. وكان زواج ابن أبي عامر من ابنة القائد غالب، داعياً إلى حقد الأميرة عليه، وإبذناً بفتور العلاقات بينهما، وقيام نضال عنيف بين الطرفين، أفقدته صبيحة خلاله كثيراً من أنصاره، وكادت توغر صدر الشعب عليه، وتدبر له فتنة جامحة.

حدث كل ذلك والخليفة هشام بن الحكم في قصره الأندلسي، لا يدري من الأمر شيئاً، ولا يعرف الشعب عن خليفته إلا اسمه دون رسمه، أو كنهه وظائفه. ولم ينته ذلك النضال إلا بوفاة ابن أبي عامر.

وتوفيت صبيحة بعده بست سنوات، أي في سنة 398 هـ بعد حياة كلها جهاد، دوخت خلالها كبار شخصيات الأندلس، وعاركت الدهر وتقلبته، وانتصرت على أهواله، وتدهورت بعد وفاتها أحوال الأندلس، وكان القدر لم يشأ أن يبقها

على قيد الحياة، حتى تشهد مصرع الدولة الأندلسية، التي شربت من بعدها كأس الذل والهوان، بعد أن

ذاقت في أيامها من العز والسؤدد ألواناً.

الهوامش

- (1) المقرري: نفح الطيب 1 / 164-165.
- (2) حسن إبراهيم حسن: تاريخ الإسلام السياسي 3 / 286.

المراجع:

- المقرري - نفح الطيب 1 / 164-165.
- أحمد أمين - ظهر الإسلام 3 / 126-127.
- علي إبراهيم حسن - نساء لهن في التاريخ الإسلامي نصيب: 90-93.
- حسن إبراهيم حسن - تاريخ الإسلام السياسي 3 / 286، 302، 304.

ست الملك الفاطمية

أخت الحاكم بأمر الله

توفيت سنة 415 هـ

ست الملك، سيدة لها خطورتها في كل من ميدان السياسة وميدان الدين، فهي مجاهدة بأسلة كافحت كفاحاً يضمها إلى صفوف الأبطال، وهي أيضاً امرأة عجيبة قامت حولها الشائعات والأقويل، عاصرت ثلاثة من الخلفاء الفاطميين، ولعبت في عهد كل منهم دوراً طاهراً ملموساً من تاريخ حياتها، في جو من المتناقضات، فعاشت في قصر جمع بين الإيمان والإلحاد، وبين الحكمة والجنون، وبين القوة والضعف، وبين الدموع والدماء، وفي بلاطها كانت تدبر المؤامرات، وتوضع الخطط التي تقرر حياة أمير أو قائد أو خليفة.

تلك هي ست الملك، أبوها "العزیز" رجل مسلم عربي وقوي، بل هو خليفة المسلمين، ويرجع أصله إلى الرسول عليه السلام، وأمها نصرانية جميلة من الشام، أخوها بطريقان ملكانيان على المسيحيين، ورثت ست الملك عن أبيها أصله وقوته، وعن أمها جمالها وذكاءها، وبرزت للتاريخ امرأة قوية الشخصية خارقة الذكاء، شديدة التحمس، كريمة حازمة، حليلة، مشهورة بالتسامح الديني، وعطفها على النصاري، ولعل سبب ذلك قربتها لهم عن طريق الأم.

لمس أبوها فيها هذه الصفات، فكان يستشيرها في أمور الدولة، ويتقبل رأيها، في تقدير. نذكر من أمثلة ذلك أن أباهَا عزل عيسى بن نسطورس من منصب الوزارة، فتدخلت ست الملك إلى جانب ذلك الوزير المسيحي المعزول، بما لها من شخصية وتأثير على أبيها. واستطاعت أن تثنيه عن رأيه وترجع ابن نسطورس إلى كرسي الوزارة مرة أخرى، وعندما مات العزيز أوصى ابنته ست الملك أن تتكفل أخاها (الخليفة الصغير) بالعتاية والاهتمام.

تولى أخوها الخلافة باسم الحاكم بأمر الله، وفي عهده قفزت ست الملك إلى مسرح السياسة والدين، لتمثل دور بطلة تاريخية مشهورة، بدأت ذلك العهد بتنفيذ

وصية أبيها الراحل فغطت على أخيها كل العطف، وحمت عرشه من الدسائس والمؤامرات، وأنقذته من سيطرة وصيه ومربيه "برجوان" وساعدته حتى حكم البلاد بنفسه تحت إرشادها.

وفي قصر الحاكم عاشت ست الملك عيشة هائلة وادعة، يحوطها الترف والتعظيم من كل جانب، حولها مئات الجواري، وطائفة من رجالها المخلصين أمثال ريدان الصقلي، والفضل بن عبد الله، كما لبست أفخر الثياب، وتحلت بأغلى الجواهر الكريمة، من ياقوت وماس وزبرجد، وكانت مخصصاتها كل سنة خمسين ألف دينار.

على أن الأمور لم تستمر على هذه الحال من الهدوء، بل تلبد الجو، واضطربت أمور الدولة، إذ اختل عقل الحاكم بأمر الله، فحرم على الناس أكل الملوخيا والقرع والجرجير، وأمر بإطفاء الأنوار ليلاً، ومنع السيدات من السير في الطرقات، أو التطلع من النوافذ، ومنع صانعي الأحذية من صنع أحذية لهن، ومنعهن من البكاء على الموق والسير وراء الجنائز، أو دخول الحمامات العامة، وتعسف في معاملة النصارى واليهود، وقتل الكثير من رجاله، وأكثر من عزل وزرائه⁽¹⁾. وظل على تلك الحال من التقلب والغموض، وقد حاولت ست الملك أن ترد أخاها إلى الصواب فلم تستطع، ونظرت إلى الدولة فوجدت الشعب متدمراً والحكم منحللاً، ودولة آبانها مشرقة على الانهيار، فهدأت الحالة بقدر ما تستطيع.

وصف المؤرخون شخصية الحاكم وخلافته بأنها متضادة بين شجاعة وإقدام، ومحبة للعلم وانتقام من العلماء، وميل إلى الصلاح وقتل الصلحاء، وكان الغالب عليه السخاء، وربما بخل بما لم يبخل به أحد قط، وأقام يلبس الصوف سبع سنين، وامتنع من دخول الحمام، وأقام سنين يجلس في الشمع ليلاً ونهاراً، ثم عن له أن يجلس في الظلمة، فجلس فيها مدة، وقتل من العلماء والكتّاب والأمثال ما لا يحصى، وكتب على المساجد والجوامع سب الصحابة ثم محاه، وقطع الكروم ومنع

بيع العنب، وأوراق خمسة آلاف جرة غسل في البحر خوفاً من أن تعمل نبیذاً، وكان عجیب السيرة یخترع في كل وقت إموراً وأحكاماً یحمل الرعية علیها.

ونزلت الطامة الكبرى، حين وقع الحاكم تحت تأثير جماعة من النفعیین، أقنعوه بأن روح الله قد حلت في جسده، فادّعى الألوهية، وأمر الناس بعبادته، وذعرت ست الملك من هذا الإلحاد، وعجبت من انقياد أخيها لتلك الفكرة الجنونية، وهو خليفة المسلمین وسلیل فاطمة الزهراء بنت الرسول، وعبثاً حاولت أن تقنعه بأنه بشر مثلها، وأن ألوهيته خرافة، على أن الحاكم ثار وأنكر أخوتها، كما تنكر لأمه وابنه وزوجته، مدعياً بأنه لم یلد ولم یولد ولم یكن له كفواً أحد!

بدأ الشعب یحتقر خليفته الملحد، وتنازعت ست الملك عاطفتان، هما العطف على الشعب، والعطف على أخيها، وسرعان ما ناصرت الشعب، وتضایق الحاكم من تمرد أخته ورفضها لعبادته. ولما لم یستطع الحاكم أن یقضي علیها، أخذ یحیک حولها الإشاعات ویتهمها بباطل التهم، وهددها بالقتل واتهمها بأنها تستقبل الرجال وتمکنهم من نفسها، فتأكدت من أنه یختلق لها حجة مكذوبة لكي یقتلها.

ولكن ست الملك جاهدت ضد أخيها بقدر استطاعتها، وأخيراً لم تجد إلا حلاً واحداً هو التخلص منه فدأء للدين، ولوطنها، وأسرتها، وتطهيراً لسمعتها. وتم لها ما أرادت، وقتل الحاكم في ظلمة الليل أثناء ذهابه إلى خلوته المحببة إليه في جبل المقطم.

وقد اختلفت الروایات في كيفية قتله، إذ یقال إن أخته ست الملك كان لها يد في قتله، لأنه اتهمها في أخلاقها ورمایها بأمور عدتها مشينة لشرفها، یقول أبو المحاسن: إن ست الملك اتفقت مع سيف الدولة ابن دواس أحد شیوخ كتامة على اغتياله، وقالت له: لي إليك أمر لابد لي فيه من الاجتماع بك، فإما تنكرت وجئتني لیلاً أو فعلت أنا ذلك، فقال: أنا عبدك والأمر لك. فتوجهت إليه لیلاً في داره متنكرة، ولم تصحب معها أحداً، فلما دخلت علیه قام وقبّل الأرض بین یديها دفعات، ووقف في الخدمة، فأمرته بالجلوس وأخلى المكان، فقالت: يا سيف الدولة،

قد جئت في أمر أحرس به نفسي ونفسي والمسلمين، ولك فيه الحظ الأوفر، وأريد مساعدتك فيه، فقال: أنا عبدك، فاستحلفته واستوثقت منه، وقالت له: أنت تعلم ما يقصده أخي فيك، وإنه متى تمكن منك لم يبق عليك، وكذا أنا ونحن على خطر عظيم، وقد أضاف إلى ذلك تظاهره بادعائه الألوهية وهتكه ناموس الشريعة وناموس آبائه، وقد زاد جنونه وأنا خائفة أن يثور المسلمون عليه، فيقتلوه ويقتلوننا معه، وتنتهي هذه الدولة أقبح انقضاء. فقال سيف الدولة: صدقت يا مولائي، فما الرأي؟ قالت: تقتله ونستريح منه، فإذا تم لنا ذلك أقمنا ولده موضعه وبذلنا الأموال، وكنت أنت صاحب جيشه ومديره وشيخ الدولة والقائم بأمره، وأنا امرأة من وراء حجاب، وليس غرضي إلا السلامة منه، وإني أعيش بينكم أمنة من الفضيحة⁽²⁾ ثم اتفقت مع عبيدني على قتله عند خروجه إلى جبل المقطم. فظلا يرقبانه إلى أن قرب الصباح فوثبا عليه وطرحاه أرضاً، وقتلاه ثم حملاه إلى ابن دواس، فحملة مع العبيدين إلى أخته ست الملك، فدفتته في مجلسها، وكان ذلك في ليلة الاثنين السابع والعشرين من شهر شوال سنة 411 هـ ومكنت ابنه الصغير واسمه أبو الحسن علي بن الحاكم من اعتلاء العرش، وصار لقبه (الظاهر لإعزاز دين الله)، ورحب به الشعب فرحاً بالخلاص من أبيه الطاغية.

وهناك رواية أخرى تقول إن الحاكم خرج هذه الليلة راكباً حماراً، ويصعبه رجلان، وأنه اختفى عنهما ولم يعثرا له على أثر، فقام بعض رجال الدولة وقضاتها وأخذوا في البحث عنه، فعثروا على الحمار الذي يركبه مقطوع اليدين، ثم تابعوا السير حتى وصلوا إلى بركة شرقي حلوان، فوجدوا فيها ثيابه وهي سبع جباب مزررة وفيها أثر السكاكين. ثم ظهر رجل من إحدى بلاد الصعيد وادعى أنه قتل الحاكم، واعترف بذلك، ولما سئل عن سبب قتله، قال: قتلته غيرة لله والدين⁽³⁾.

وروى القاضي: "أن ست الملك غدرت بابن دواس، قيل إنها بعثت بالعبيد إلى ابن دواس ليكونوا في خدمته، فجاءوا ووقفوا بين يديه، فقالت ست الملك لنسيم صاحب الستر: اخرج قف بين يدي ابن دواس، وقل للعبيد: يا عبيد، مولانا تقول

لكم هذا قاتل مولانا الحاكم فاقتلوه، فخرج نسم فقال لهم ذلك، فمالوا على ابن دؤاس بالسيوف ففقطعوه، وقتلوا العبدین اللذین قتلوا الحاكم، وكل من اطلع على سرها قتلته، فقامت لها الهيبة في قلوب الناس". وقال ابن الصابي: لما قتل ست الملك ابن دواس قتلت الوزير الخطير ومن كانت تخاف منه ممن عرف بأمرها⁽⁴⁾.

واستطاعت ست الملك، بفضل وصايتها على الظاهر ابن أخيها الحاكم، أن تعيد إلى الدين جلاله القديم، وتقوم بإصلاحات فيها العدل والنزاهة. على أنها لم تستمر طويلاً في الحكم، فتوفيت بعد أربع سنوات ولها من العمر ثمانية وأربعون عاماً، وكانت وفاتها سنة 415 هـ

الهوامش:

- (1) ابن خلكان: وفيات الأعيان.
- (2) أبو المحاسن: النجوم الزاهرة 4 / 186-187.
- (3) أبو المحاسن: النجوم الزاهرة 4 / 191.
- (4) النجوم الزاهرة 4 / 192.

المراجع:

- ابن تغري بردي: النجوم الزاهرة 4 / 176-196.
- ابن الأثير: الكامل في التاريخ 8 / 128-130.
- الروضة الفيحاء: 326-329. أعلام النساء 2 / 571-575.
- الدر المنثور: 240، تراجم إسلامية: 35، خطط المقرئ 2 / 89.
- محمد كامل حسن: سطور مع العظيمات.
- علي إبراهيم حسن: نساء لهن في التاريخ نصيب.

تفانو ملكة الروم زوجة أرمانوس ملك الروم

توفيت حوالي 416 هـ

كانت من أهل الشجاعة والبراعة، ومن شجاعتها وشدة براعتها قتلت زوجها أرمانوس، وكان له منها ولدان أحدهما بسيل، والآخر قسطنطين، ثم تزوجت بعد أرمانوس بالملك نقفور، وقام بالملك وطغى وتجبّر، وغزا بلاد المسلمين، وقتل ونهب وسلب وأعطى، ثم إن نقفور طمع بالملك وأراد أن ينتقل الملك بعده إلى عقبه، فهم بقتل أولاد تفانو زوجته، وقيل: أراد أن يخصيهم ليقطع نسلهم، فبلغ ذلك زوجته، فاتفقت مع الدمشقي (الدمستقي) على قتل نقفور، فألبست الدمشقي لباس النساء وأدخلته مع النساء إلى كنيسة متصلة بدار نقفور، وانتظروا نقفور حتى نام فهجموا عليه وقتلوه، وأراح الله المسلمين من شره، ثم تزوجت تفانو بالملك يانس بن شمشقيق وولته الملك، ثم إنها خافت فارسسته مع جيش عظيم إلى بلاد الشام، فغتم وسبى، وقتل وأسر، ثم دست عليه زوجته تفانو من سقاء سماً، فمات يانس ولم تطل مدته. ثم ملكت بعده ولدها بسيل سنة سبع وستين وثلاثمائة، وقام بالملك، وحاصر حمص وفتحها سنة إحدى وثمانين وثلاثمائة، وكذا شيزر، ثم سار إلى طرابلس وحاصرها أياماً، ثم رحل عنها إلى الروم، وقام بالملك خمسين سنة، ومات سنة ست عشرة وأربعمائة، وكان فيما يزعم من رآه أنه من المسلمين، وأكثر أيمانه: وحق ما في صدي. ذكر ذلك مَنْ رآه من المسلمين إنه كان يعلق على صدره تحت ثيابه مصحفاً، ونظير ما حكى لي رجل من العسكر قال: كنا يوماً في نواحي الشام من جهة القدس، فرأينا ديراً فقصدها، ودخلنا إليه، ونزلنا فيه، وكان في الدير رهبان، وكنت مقدّم العسكر، فسألت الرهبان عن كبيرهم، فأنكروه، فجعلت أدور في مقاصير الدير، فسمعت صوتاً ضعيفاً من داخل حجرة هناك، فقصدت الصوت حتى انتهيت إلى باب مغلق، وذلك الصوت يخرج من هناك، فأصغيت سمعي فإذا صوت قراءة قرآن، فقرعت الباب فُسكت، وقال: مَنْ هذا؟ قلت: أنا مقدّم العسكر، فعند ذلك فتح الباب، ودخلت عليه، وقلت له: قد رايتني

أمرك، أنت كنت كبير النصارى، وقد سمعت عندك صوت قراءة القرآن. فأقسم علي أن لا أظهر أمره بين النصارى، وقال: الحمد لله أنا مؤمن، أصلي الخمس، وأصوم رمضان، وأقرأ القرآن، وأنا ليلي ونهاري مختفٍ عن الكفار، لئلا يطلعوا على أحوالي، فبحق محمد صلى الله عليه وسلم ، وبحق هذا القرآن لا تفضحني عند عبدة الصليبان، فخرجت من عنده، ولم أعلم بحاله أحداً من النصارى، غير أني سألت أهل العلم من المسلمين عن هذا الرجل، فقالوا: أما سمعت قوله تعالى: (ذَلِكَ بِأَنَّهُمْ قَسِيصٌ وَرَهْبَانٌ) وَأَنَّهُمْ لَا يَسْتَكْبِرُونَ المائدة: ٨٧.

المراجع:

■ الروضة الفحاء: 331-332، تاريخ ابن الوردي 1/ 295، 310، 311، 337.

تركان خاتون زوجة السلطان

ملك شله إلب أرسلان السلجوقي

توفيت سنة 487 هـ

تزوجها السلطان سنة ثمانين وأربعمئة، فولدت له السلطان محموداً سنة إحدى وثمانين وأربعمئة، ومات ملك شاه سنة خمس وثمانين وأربعمئة في بغداد، ولما مات أخفت تركان موته، وقرت الأموال على الأمراء والعساكر وسارت بهم إلى أصفهان، واستخلفت العساكر لولدها السلطان محمود وعمره إذ ذاك أربع سنين، وقامت بتدبير الملك أحسن قيام، ودبّر الأمر بين يديها تاج الملك بن نظام الملك، وكان في أصفهان السلطان بركيا روق بن السلطان ملك شاه، فهرب من أصفهان خوفاً من تركان خاتون. وتوجه نحو بغداد، وأرسلت تركان خاتون إلى بغداد وخطبوا لولدها محمود في بغداد، وتقوى بركيا روق واجتمع عليه خلق عظيم، وملك بعض البلاد فبلغ ذلك تركان خاتون فجهزت العساكر لحرب بركيا روق مع الوزير تاج الدين، فحاربهم بركيا روق وهزمهم وقتل تاج الملك سنة ست وثمانين وأربعمئة، وقدم بركيا روق وحاصر أصفهان، وكانت تركان خاتون مريضة وماتت وهي محاصرة سنة سبع وثمانين وأربعمئة، وأصاب ولدها السلطان محموداً جدري ومات بعدها بأيام قلائل، ومدة ملكه سنتان وأيام قلائل. وطمع بركيا روق، وملك أصفهان وجميع مملكة أبيه، واستقر الملك له، والله الباقي.

الهوامش

الروضة الفيحاء: 275-276. نساء الخلفاء 131-132، المنتظم 9/ 62، النجوم الزاهرة 5/ 162، التاريخ

الباهر ص 11.

زمرد خاتون بنت جاوي صاحب مدينة الموصل

توفيت سنة 557 هـ

تزوجها تاج الملك بوري بن طغتكين صاحب مدينة دمشق، وأصدقها أربعين ألف دينار وتحفاً، وحظيت عنده وولدت له: مونحاً ومحمداً وشمس الملوك إسماعيل، وشهاب الدين محرد، ومن أعمالها بناء المدرسة بظاهر دمشق سنة أربع وعشرين وخمسمائة، وأوقفت لها أوقافاً كثيرة، وتوفي زوجها تاج الملك بوري سنة ست وعشرين وخمسمائة، وسبب موته أن الباطنية وثبوا عليه وجرحوه جرحين، برأ واحد منهم والآخر نسر، ومات به، وملك الشام بعده ولده شمس الملوك إسماعيل، وكان ظالماً، قبض على أخيه وقتله سنة سبع وعشرين وخمسمائة، وفي سنة ثمان وعشرين وخمسمائة، اتهمت أمه زمرد خاتون مع رجل من أمراء دولتهم وسقته السم ومات، وقيل: كرهت ظلمه على الرعية فدست عليه من قتله، وملك دمشق بعده أخوه شهاب الدين محمود، واستمر الملك بيده إلى سنة اثنتين وثلاثين وخمسمائة، فقدم عماد الدين زنكي وملك حمص وحصن المجدل، وتزوج زمرد خاتون طمعاً في دمشق، وقتل محمود سنة ثلاث وثلاثين وخمسمائة، وكره عماد الدين زنكي زمرد خاتون لما عجز عن ملك دمشق وطلقها، وأقامت إلى أن مات عماد الدين، فتزوجت زمرد بـرجل باقلاني لفقرها وشدة احتياجها، فكان إذا لطمها زوجها تقول: لو عرفتني ما ضربتني، وتوفيت سنة خمس وأربعين وخمسمائة.

المراجع

- الروضة الفيحاء، 276-277، أعلام النساء / 1 / 449-450، شذرات الذهب / 4 / 90، 103، 178،
الدارس في تاريخ المدارس / 1 / 502، منية الأدياء: 55.

زمرد زوجة الأمير طغتكين بن أيوب الأيوبي

صاحب بلاد اليمن

توفيت سنة 600 هـ

ولدت له المعز إسماعيل والناصر أيوب، ومات طغتكين في اليمن سنة ثلاث وتسعين وخمس مائة، فملك اليمن بعده ولده، المعز إسماعيل، وكان ظالماً محبطاً، إذعى أنه قرشي أموي، ولبس الحضرة وخطب لنفسه بالخلافة، فقتله مماليك أبيه، بعدما وافقتهم أمه زمرد، وأقامت ولدها الصغير الناصر أيوب، وصار أتابكة سيف الدولة سنقر، ومات بعد أربع سنين، فصار أتابكة الأمير غازي بن جبريل، وتزوج زمرد أم الناصر، ثم طغى الأمير غازي وطمع في بلاد اليمن، وسَمَّ الناصر فمات، فاجتمعت العرب وقتلوا الأمير وخلت اليمن، فتغلبت زمرد أم الناصر وملكت زبيد، وأخرجت الأموال، وانفقت على العساكر، وأقامت تنتظر من يقدم من بني أيوب ليملك بلاد اليمن وتزوج به.

وأرسلت زمرد بعض غلمانها إلى مكة في موسم الحج ليأتيها بأخبار مصر والشام، فوجد سليمان بن شاهنشاه بن أيوب، وكان فقيراً، فحمله معه ذلك الغلام إلى اليمن، وأحضره عند زمرد، فتزوجت به وملكتها اليمن، فملأ اليمن جوراً، ولم يرع حق زمرد، وأعرض عنها، وكتب إلى عمه الملك العادل كتاباً أوله:

"إنه من سليمان، وإنه بسم الله الرحمن الرحيم". فاستقل عقله وأهمله. وتوفيت زمرد أم الناصر

في حدود سنة ست مائة، والله أعلم.

وفي سنة اثنتي عشرة وست مائة أرسل الملك الكامل ابن العادل ولده الملك المسعود يوسف إلى

اليمن في جيش عظيم فملك اليمن، وقبض على سليمان وبعثه إلى مصر، فأجرى له الكامل ما يقوم به إلى أن مات.

المراجع:

- الروضة الفيحاء 277-278، المستظرف من أخبار الجوّاري: 31، أعلام النساء 1/ 450 وفيه:
زمرّد خاتون بنت أيوب، تراجم القرنين السادس والسابع لأبي شامة المقدسي: 33.

راضية

توفيت سنة بعد 640 هـ؟؟

تسلقت راضية السلطة في ظروف مغايرة، لأنها على خلاف من شجرة الدر، لم تكن جارية، بل ابنة ملك، وقد وصل أبوها إلى الهند بصفته عبداً، وسيشكل صعوده إلى مركز السلطان أفضل دعاية للإسلام في البلاد الهندية التي كانت تخضع لنظام الطوائف المتصلب، بدأ الإسلام كديانة ديمقراطية تكسر- التراتبية وتزعزع الأسياد، وتمكن العبيد ذوو الكفاءة من أن يحلوا محل الذين كانوا يحكمونهم، بعث قطب الدين إيبك، الذي كان عبداً لأحد قواد سلاطين خازناه إلى دلهي، وقد حفزه اندفاعه إلى إعلاء راية المسلمين في مناطق الهند، ونجح في ذلك إلى حد ما، بما أن السلطان قطب الدين إيبك الذي أعجب بشجاعته زوجه من ابنته. وبعد وفاة إيبك سنة 607هـ استولى التتمش على السلطة وأعلن نفسه مستقلاً عن خازناه، وسيبقى في التاريخ كأحد الملوك العبيد الكبار الذين فرضوا السيادة الإسلامية بالهند.

وبعدها طرح عليه مشكل الشرعية إثر حصوله على السلطة الدنيوية، وعليه، يقدم وثيقة تثبت عتقه بعد وفاة سيده حتى يعدو مؤهلاً لتسلم السلطة، يقول ابن بطوطة: "فأناؤه الفقهاء يتقدمهم قاضي القضاة إذ ذاك وجيه الدين الكاساني، فدخلوا عليه، وقعدوا بين يديه، وقعد القاضي إلى جانبه على العادة، وفهم السلطان عنهم ما أرادوا أن يكلموه فيه، فرفع طرف البساط الذي هو قاعد عليه، وأخرج لهم عقداً يتضمن عتقه، فقرأه القاضي وبايعوه جميعاً"¹¹، وبقي على التتمش اجتياز اختبار الخليفة العباسي، بما أن المماليك يتبعون المذهب السني، ففي سنة 626 هـ بعث التتمش طلباً رسمياً إلى خليفة بغداد المستنصر يطلب منه الاعتراف به، أجاب الخليفة ببعثة استقبلت بحفاوة شديدة في دلهي، حيث أعلنته سلطاناً في الهند بشكل رسمي، ضرب التتمش السكة وطبع عليها ولاءه للخليفة ببغداد من خلال العبارة التالية: "ناصر أمير المؤمنين"، وهو ولاء عرضه لمحاولة اغتيال من طرف فرقة

شيعة جد نشيطة بالهند، ومشهورة بالاضطرابات التي تسببت فيها، وهي الإسماعيلية، حيث حاول أتباعها قتل التتمش في المسجد وهو يصلي بالناس، ولكنهم فشلوا في محاولتهم التي خرج منها التتمش منتصباً بالمذهب السني أكثر من أي وقت مضى، وفتح مزيداً من البلدان، وأحاط نفسه بالعلماء والفقهاء، وتوفي في عز مجده بدلهم، نتيجة مرض طاريء سنة 633 هـ بعد حكم دام ستة وعشرين سنة⁽²⁾.

كان التتمش قد عيّن ابنه راضية ولياً لعهد، رغم أن له ثلاثة أبناء، وقد زاد ولاية العهد تعقيداً إذ إن أبناء التتمش، لا ينتمون جميعاً إلى نفس الأم، مما أثار العداء بينهم وبين راضية، وهو عداء غذاه وقواه دسائس الأمهات، انطلاقاً من الحريم، وكان ركن الدين أحد أخوة راضية الثلاثة من أبيها، غير راض عن توليتها العهد من طرف أبيه، كما كان أكثر الأخوة تعطشاً للسلطة، وقد كان يُكنّى حقداً كبيراً لراضية ولأخ آخر له من أبيه، وسينفجر هذا الحقد بعد موت أبيه، ويدفع به إلى مقاومة أخته، وقتل أخيه.

لم يكن التتمش وهو العبد الذي ارتقى بفضل مواهبه الشخصية، يستشعر أية عقدة من جراء الاعتراف بقيمة المرأة، فالعدل والكفاءة في رأيه أمران متلازمان، وهنا يكمن فهمه الأساسي للإسلام، وبما أنه كان شديد الدين، فإن كل ما عدا ذلك - بما فيه الفروق بين الجنسين - لم يكن مهماً في رأيه، إذا قارنا بين ضعف شخصية ركن الدين ومواهب راضية، ندرك أن هذه الأخيرة كانت تؤهلها لولاية العهد بشكل مفروغ منه، وقد أجاب التتمش الأمراء الذين طالبوا منه تفسير اختياره الذي فاجأهم، إجابة بالغة البساطة: "إن أبنائي غير قادرين على القيادة، ولذلك اخترت أن تتولى ابنتي الحكم بعدي"⁽³⁾ بعد وفاة التتمش، حاول الأمراء والوزراء تنحية راضية لصالح أخيها من الأب ركن الدين، وكان أول ما قام به هذا الأخير حين تولى الحكم هو قتل أخيه، معتقداً بأنه سيخيف بذلك راضية، ويعيدها إلى الحريم حيث يلفها النسيان، لم تخفِ راضية وراء حجابها فحسب، بل إنها استرجعت الحكم حين

توجهت مباشرة إلى شعب ذهبي، واستغلت في ذلك مؤسسة أسسها والدها لمقاومة الظلم "ومن مآثره أنه اشتد في رد المظالم وإنصاف المظلومين، وأمر أن يلبس كل مظلوم ثوباً مصبوغاً، وأهل الهند يلبسون جميعاً البياض. فكان متى قعد للناس أوركب فرأى أحداً عليه ثوب مصبوغ، نظر في قضيته وأنصفه ممن ظلمه"⁽⁴⁾. ولكي يعجل بسير تطبيق العدالة، وتمكين المظلوم من أن يطلب المعونة، قرر أن يضع جرساً أمام باب القصر "فجعل على باب قصره أسدين مصورين من الرخام، موضوعين على برجين هناك، وفي عنقهما سلسلتان من الحديد فيها جرس كبير، فكان المظلوم يأتي ليلاً فيحرك الجرس، فيسمعه السلطان، وينظر في أمره للحين وينصفه"⁽⁵⁾.

لم تجد راضية وسيلة أفضل من اللجوء إلى التقنية التي فرضها أبوها، والتي كان الشعب يعرفها. لقد قررت ارتداء الزي الملوث الذي يرتديه ضحايا الظلم، وشرح ما لحق بها من ظلم للشعب، وطلب معونته للانتقام لأخيها القتيل، وتنحية ركن الدين، الذي كان يهددها بالقتل هي الأخرى، انتظرت يوم الجمعة واجتماع المؤمنين بالمسجد لتنفيذ خطتها، لأنها كانت في حاجة إلى إعلان الأمر، وحين خرج ركن الدين من القصر متوجهاً نحو المسجد صعدت راضية إلى السطح وتناولت الكلمة مرتدية زي المظلومين: "فلما كان في بعض أيام الجمع، خرج ركن الدين إلى الصلاة، فصعدت راضية على سطح القصر القديم المجاور للجامع الأعظم، وهو يسمى "دولة خانة" ولبست عليها ثياب المظلومين، وتعرضت للناس وكلمتهم من أعلى السطح، وقالت لهم: إن أخي قتل أخاه وهو يريد قتلي معه، وذكرتهم بأيام أبيها، وفعله الخير وإحسانه إليهم، فثاروا عند ذلك على السلطان ركن الدين وهو في المسجد، فقبضوا عليه وأتوا به إليها، فقالت لهم: القاتل يقتل، فقتلوه قصاصاً بأخيه"⁽⁶⁾.

كان أول ما قامت به راضية حين تولت الحكم هو سفورها كما يقول لنا ابن بطوطة: "ولما قتل ركن

الدين اجتمعت العساكر على تولية أخته راضية الملك

قولوها. واستقلت بالملك أربع سنين، وكانت تركب بالقوس والتركش والقربان كما يركب الرجال، ولا تستر وجهها⁽¹⁷⁾ وهناك مصادر أخرى تقول بأنها: "قصت شعرها وارتدت زي الرجال، وهكذا اعتلت العرش"⁽¹⁸⁾. وتضيف هذه المصادر بأنها لم ترتد زي الرجال لقيادة الحملات العسكرية فحسب، ولكن للمحافظة على الاتصال بالشعب "كانت تتجول في الأسواق مرتدية زي الرجال، وتجلس بينهم، تستمع إلى تظلماتهم"⁽¹⁹⁾.

وعلى كل، فقد قامت راضية بمهمتها أحسن قيام، واجمع المؤرخون على كونها إدارية ممتازة، وهم لم يؤاخذوها إلا على شيء واحد هو وقوعها في غرام رجل كان أقل منها امتيازاً، وقصة الحب هذه ستعجل بسقوطها، ولكن الأمر لم يخلُ من حوادث مفاجئة، كما هو الشأن في الأفلام الهندية الجيدة.

كانت راضية تقدر خصال أحد المكلفين بخيولها، يدعى جمال الدين ياقوت، وهو حبشي- قررت ترقية بسرعة أغضبت القواد الآخرين، فبدأوا يشكون في حبها له، كان لقب ياقوت هو أمير الخيل، ولكن راضية لقبته بعدها بوقت قصير بأمر الأمراء، ولم يرض العديد من هؤلاء بهذا التغيير الذي أحل الأمراء محل الخيول، فغضبوا: "وشرعوا في التحسس عليها لفهم أسباب هذه الترقية السريعة، ولاحظوا بأنها كانت فعلاً تستأنس به كثيراً، وكانت تعفيه من عدة مهام كان عليه القيام بها"⁽²⁰⁾، بل الأدهى من ذلك أنهم بدأوا يتجسسون على كل حركاتها هي والمكلف بخيولها، إلى حد أنهم لاحظوا ذات يوم قيامه بحركة جريئة حين شاءت راضية ركوب فرسها: "فوضع يديه تحت إبطيها لكي يركبها الفرس"⁽²¹⁾. شاع الخبر في المدينة بأن "عمدة النسوان وملكة الزمان" السلطانة لا تحترم الأخلاق، وتتيح لعبد أن يلمسها، وبذلك حقق أعداؤها مرادهم... "ثم إنها اتهمت بعبد لها من العيشة، فاتفق الناس على خلعها وتزويجها، فخلعت وزوجت من بعض أقاربها"⁽²²⁾.

وهكذا انتصرت الهند الطائفية رغم الإسلام، حيث تضافرت السلطات الدينية والأمراء ضدها،

وجهزوا جيشاً بقيادة الوالي اختيار الدين، خشيت راضية من

الحصار، فغادرت دلهي مع جيشها لمحاربة هذا الأخير، ولكنها انهزمت وسقطت أسيرة بين يديه، ولكن ما حدث شكّل تحولاً مفاجئاً في الوضع، إذ سقط اختيار الدين في غرام راضية أسيرته، فحررها وتزوجها، وعاد معها على رأس جيش كبير لإعادة فتح دلهي، والاستيلاء من جديد على عرش محبوبته⁽¹⁴⁾، ولكن سوء الحظ لم يكن ليفارق راضية، حيث انهزمت هي وزوجها، وتقهقر جيشهما، ففرت راضية، ويصف لنا ابن بطوطة نهايتها التي نجدها في العديد من حكايات ألف ليلة وليلة: "... فأدركها الجوع، وأجهدها الإعياء، فقصدت حرثاً رآته يحرث الأرض فطلبت منه ما تأكله، فأعطاهما كسرة خبز فأكلتها، وغلب عليها النوم، وكانت في زي الرجال، فلما نامت نظر إليها الحرث وهي نائمة، فرأى تحت ثيابها قباء مرصعاً، فعلم أنها امرأة، فقتلها وسلبها، وطردها فربها ودفنها في فدانه، وأخذ بعض ثيابها فذهب إلى السوق لبييعها، فأنكر أهل السوق شأنه، وأتوا به الشحنة وهو الحاكم، فضربه فأقر بقتلها، ودلهم على مدفنها، فاستخرجوها وغسلوها وكفنوها، ودفنت هنالك وبُني على قبرها قبة"⁽¹⁵⁾. وقد استخلص ابن بطوطة خلال رحلته بأن الشعب جعلها في عداد الأولياء: "وقبرها الآن يزار ويتبرك به، وهو على شاطئ النهر الكبير المعروف بـبهر الجون، على مسافة فرسخ واحد من المدينة"⁽¹⁶⁾.

الهوامش

- (1) ابن بطوطة، الرحلة، المجلد الثاني ص 368.
- (2) ابن بطوطة - السابق.
- (3) محمد يوسف النجرمي، العلاقة السياسية والثقافية بين الهند والخلافة العباسية ص 125.
- (4) ابن بطوطة الرحلة، 2 / 368.
- (5) السابق ص 322.
- (6) السابق نفسه ص 370.
- (7) ابن بطوطة ص 370.
- (8) بدرية اسوك: النساء الحاكمات.
- (9) محمد يوسف نجرمي: العلاقة السياسية والثقافية ص 125.
- (10) عمر كحالة: أعلام النساء 1 / 448، النجرمي، مصدر سابق ص 125.
- (11) عمر كحالة ص 450.
- (12) ابن بطوطة، الرحلة ص 370.
- (13) نفسه ص 423.
- (14) ابن بطوطة الرحلة ص 423.
- (15) السابق نفسه.

المراجع:

- محمد يوسف النجومي: العلاقة لسياسية والثقافية بين الهند والخلافة العباسية، دار الفكرية، بيروت 1979 ص 122 وما بعدها، ابن بطوطة، الرحلة، المجلد الثاني ص 368. عمر رضا كحالة، أعلام النساء، بديرية أسوك، النساء الحاكمات، وانظر ترجمة التتمش في دائرة المعارف الإسلامية.

تركان خاتون من قبيلة بيارون من فروع يك

توفيت حوالي 650 هـ

وهي بنت ملك منهم، وكانت من أجمل النساء هيبهً ووقاراً، مع حسن رأي وأفكار، تزوجها خوارزم شاه تكش بن أرسلان شاه بن أطرشاه بن محمد شاه بن الفرش تكين، وحظيت تركان عند تكش وولدت منه محمد شاه. ولما مات تكش ملك بعده ولده محمد شاه، وكان صغيراً. فدبرته أمه تركان خاتون، وكان لها رأي وهيبه، تنتصف للمظلوم من الظالم، جسورة على القتل، ولها في كل إقليم ناحية جليلة، تقدم من توقيعه وتوقيع ابنها تاريخاً.

وطغرى تواقيعها: عصمة الدنيا والدين الخ... تركان ملكة نساء العالمين، وعلامتها: اعتصمت بالله وحده، تجوذاً بقلم غليظ، وأقامت في أرغد عيش، إلى أن ظهر التتار وحاربوا ولدها محمد شاه، وهرب إلى جزيرة، ولحقه مرض ذات الجنب، وأقام بالجزيرة إلى أن مات. وكُنْ في قميصه لعدم وجود الكفن، فسبحان من يعز من يشاء، ويذل من يشاء.

المرجع:

- الروضة الفحاء: 350.
- أعلام النساء 1 / 142، وفيه: ترکان خاتون من قبيلة بياووت، سيرة جلال الدين منكبرتي - للنسوي 38-42، 55 وفيه قبيلة بياووت أيضاً.

شاهان مولاة المستنصر بالله

توفيت سنة 652 هـ

كانت جارية رومية على مَلِك خُتَا خاتون بنت الأمير سُفُر الطويل الناصري زوجة الأمير جمال الدين بَكْلُك الناصري. اعتنت بتأديبها وتربيتها، وشَمِلَتْهَا فظهُرَتْ عليها آثار السعادة ومخايل النجابة، فلما بُويعَ المستنصر بالله أهدتها له في جملة جَوارٍ، فحظِيَتْ عندهُ من بينهنَّ وتقدَّمتْ وصارت لها المنزلَة الرفيعة، والمكانة العالية، والمقام الذي لا يصل إليه غيرها من القرب والاختصاص، وصار لها باب مُقَرَّد وديوان وكلاء ونواب، وخَدَمٌ وحاشية جميلة، وأمرُجَتْ في الأموال تتصرَّف فيها على حسب إيثارها واختيارها، وتأمّر وتنهى بأنَّ أمرٍ وأنفذ حُكْمٍ. حدَّثَ بعضُ نواب ديوانها أنها عَمِلَتْ جِسْبَةً شهرية لما أُطْلِقَ فيه إلى (السَّناكرة)^(١)، والزراكشة والصاغة والتجار والبزازين والجوهرين، وأرباب الصنائع على اختلاف صنائعهم مائة ألف دينار وخمسة آلاف وثلاثمائة ونيف وستون ديناراً، وكانت كثيرة البرِّ والمعروف والتفقد للفقراء والأرامل والأيتام، دالمة الصدقات، مائلة إلى الخير، راغبة في فعله، مُحِبَّةٌ لأهلِهِ. ولما توفي مولاه المستنصر- بالله وبويع ولده المستعصم بالله أجراها على عاداتها في الإكرام، ووَفَّرَ نصيبها من التبجيل والإعظام، ونقلها بجواربها وخدمها، وأتباعها وخَسَمَهَا، إلى الدار التي نشأت بها عند سِتِّها، المعروفة بدار بنفشا، المجاورة لباب الغربية الشريف، وقد ذُكِرَتْ تاريخ بناء هذه الدار في الأيام للجهة بنفشا ثم في الأيام الناصرية، حيث أُنْعِمَ بسكنى هذه الدار على خُتَا خاتون بنت سُفُر الطويل الناصري، أُضِيْفَ إليها ما كان يجاورها من الخانات والدُّور، وأنْشِئَ فيها بستان، ونُقِلَ إليه من جميع الأشجار، فصار يانع الثمار، مليح الأزهار، وأُجْرِيتْ إليه المياه من الدواليب التي تسقي بساتين الدار العزيزة، ويُقابِل هذه الدار بستان فاخر، وشجر مثمر زاهر، ومنظر عجيب باهر، فالجالسُ في مناظر هذه الدار يُشْرَفُ على دجلة وجسرِها، فهي نزهة العيون، وفرحة القلب المحزون، ورُتَّبَ لها البوابون والفراشون والمشائيتة، وأقْرُبَتْ على

جميع ما كان يصل إليها في الأيام المستنصرية من الراتب والجاري من المخزن المعمور، وجُعِلَ في بابها عدل ملازم جميع النهار، مُتَقَدِّمًا ما تأمرُ به، ومُتَّبِعًا ما يجري على يد الخدم المختصين بخدمتها.

الهوامش

- (١) أو البنادرة: جمع البندار، من يكون مكثرًا من شيء يشتري منه من هو أسفل منه وأخف حالاً وأقل مالاً، ثم يبيع ما يشتري من غيره، وهذه لفظة أعجمية. الأنساب للسمعاني.

المراجع:

- العسجد المسبوك في تاريخ دولة الإسلام والملوك، لعلي بن الحسن الخزرجي، الجامع المختصر - 9/ 28، 46، 11، 121، 275، تلخيص معجم الألقاب 4/ 68، شذرات الذهب 5/ 170، نساء الخلفاء المسمى جهات الأئمة من الحرائر والإماء لابن الساعي، تحقيق مصطفى جواد ص 119-122، ط دار المعارف، مصر 1993م.

شجرة الدر جارية الصالح أيوب

توفيت سنة 655 هـ

كان حكم شجرة الدر إعلاناً عن نهاية العباسيين وسقوط بغداد على يد المغول سنة 656 هـ وقد ساعد هذا جيوش العبيد المماليك الذين استولوا على الحكم في بلاد عديدة، وسيحتفظون به لأكثر من قرنين في مصر وسوريا.

تفاوضت شجرة الدر منذ البداية مع قواد الجيش لكي تخفي موت زوجها، وهو شرط ضروري في رأيها لتجنب الاضطرابات، وبعدها خططت معهم العمليات لمواجهة الفرنسيين الذين حاصروا مصر بقيادة ملكهم سان لوي خلال سنتين بين 647 و649، وبعد الانتصار عليهم، وأسر ملكهم، حاولت شجرة الدر الالتفات إلى مشاكل ولاية العهد، إذ كان لزوجها ابن يدعى "توران شاه" وكان متغيباً عن القاهرة وقت وفاة أبيه، وقد أرسلت إليه شجرة الدر مبعوثين في البداية كي يخبروه بالأحداث الطارئة في القصر وفي الجبهة، وطلبت منه موافقتها في القاهرة، وحين عودته سلمته مقاليد الحكم، ولكن توران شاه أبان عن ضعفه في قيادة الجيش، حيث أُلِّب عليه الضباط، ولم يستطع أن يقرض عليهم احترامه كما كان عليه الحال مع أبيه، وقد احتدم الصراع بينه وبينهم حتى اغتالوه سنة 648 هـ ثم قرر المماليك تسليم العرش إلى شجرة الدر. وما أن اعتلت شجرة الدر العرش حتى بدت معاناتها، من جراء معارضة الخليفة العباسي الذي رفض الاعتراف بها، وهو رفض أجبر الجيش على إعادة النظر وسحب الثقة من الملكة، لأن المماليك البحرية في مصر الذين قرروا في النهاية الاستيلاء على الحكم وتأسيس مملكة عوضاً عن الاستمرار في خدمة الآخرين، كانوا في أشد الحاجة إلى اعتراف خليفة بغداد بهم، ورغم إعجابهم بشجرة الدر فقد أجبروا على تنحيها بعد شهور معدودة، وما أن عرفت شجرة الدر باسم القائد الذي اختاره الجيش لمقابلة الخليفة بصفته مرشحاً لمركز السلطنة حتى فكرت في الزواج به، وكان القائد يدعى المعز عبيق التركماني، وكان أقوى قواد المماليك، وثق به الجيش فنال موافقة الخليفة، وتزوجت

منه شجرة الدر. ونجحت مرة أخرى في اقتحام مسرح سياسي ظل مستعصياً عليها رغم مواهبها المتعددة، وكان هاجسها الأول هو تجنب العودة إلى ظل الحريم البارد، ولكي لا تسقط من جديد في النسيان الذي يفرضه المجال الأثووي، سعت إلى أن تلقى الخطبة في مساجد القاهرة باسمها هي وزوجها، كما حرصت على أن تضرب السكة باسميهما، وأن يمضيا معاً كل الوثائق الرسمية الصادرة عن القصر⁽¹⁾.

ولفرط جمال زوجته، سماها الصالح شجرة الدر، وحظيت عنده وأحبها، ولم تحمل منه، وقيل ولدت له ولداً سُمِّه خليلاً ومات وهو صغير، ولما مات الصالح أيوب سنة سبع وأربعين وستمائة، أحضرت شجرة الدر فخر الدين ابن الشيخ، ومحسناً الطواشي، وجمعوا الأمراء، وأحفت شجرة الدر موت الصالح أيوب، ثم خرجت إلى الأمراء من وراء حجاب، وقالت لهم: السلطان يأمركم أن تحلفوا لولده المعظم، فإنه عهد له بالملك من بعده، وجعل أتابكه ابن الشيخ فخر الدين، ويأمركم أن تحلفوا أيضاً لأتابكه، فحلفوا له، ثم أظهرت شجرة الدر موت الصالح أيوب بعد ما استدعت المعظم توران شاه ابن الصالح أيوب، وكان في حصن كيفا.

وشاع موت الصالح، فتقدمت الفرنج إلى جهة مصر وطمعوا في المسلمين، ووقعت وقعة عظيمة، وقتل فخر الدين ابن الشيخ مستهل رمضان، ثم نصرَ الله المسلمين، وأخذوا من الفرنج اثنين وثلاثين مركباً، وهرب الفرنج، ثم قدم المعظم وبايعوه، وجددوا له البيعة بمصر وذلك سنة سبع وأربعين. وتجهز بالعاكر من مصر سنة ثمان وأربعين وستمائة، وحارب الفرنج، وكسره، وقتل من الفرنج، ثم أطلقه وشرع المعظم في إبعاد أمراء أبيه، وتقرب غيرهم فمقتوه، ثم قتلوه، فقامت بالملكة شجرة الدر، وخطب باسمها، وكان نقش السكة "المستعصمية الصالحية، ملكة المسلمين، والدة الملك المنصور خليل"، وجعلت علامتها على التواقيع والمناشير والدة خليل، وصار أتابك العساكر عز الدين أيك، ثم إن رُيد فرانس ملك

الفرنج تقدم إلى نوابه، وسلّم دمياط للمسلمين وأطلق ريد فرانس، وفي ذلك يقول ابن مطروح:

قل للفرنسيس إذا جنته	مقال صدق عن قؤول فصيح
قد جنت مصرأ تبتغي ملكها	تحسب أن الزمر يا طبل ريخ
أنيت مصرأ تبتغي ملكها	تحسب أن الزمر يا طبل ريخ
رحت وأصحابك أودعتهم	بقبح أفعالك بطن الضريخ
خمسون ألفاً لا يرى منهم	غير قتيل وأسير جريخ
وقل لهم إن أضمروا عودة	لأخذ ثار أو لقصد صحيح
دار ابن لقمان على حالها	والقيد باقي والطواشي صبيخ

ثم إن شجرة الدر تزوّجت عز الدين أيبك واستقل بالسلطنة، وطالت أيامه، وخطب بنت بدر الدين لؤلؤ صاحب الموصل، فبلغ ذلك شجرة الدر، فغضبت لذلك، ولما دخل عز الدين أيبك الحمام جهّزت شجرة الدر الجواري والخدم، فدخلوا على أيبك وقتلوه في الحمام، وبلغ ذلك مماليك أيبك فعزموا على قتل شجرة الدر، فحماها مماليك الصالح. ونقلت شجرة الدر إلى البرج الأحمر، ثم قتلوها سنة خمس وخمسين وستمائة.

لقد كانت نهاية راضية المأساوية، بمثابة إعلان عن ملكة أخرى من دولة المماليك، ستحذو حذوها بعد ذلك بعقد من الزمان آلت شجرة الدر مآلاً مأساوياً، ولكنها لم تكن بريئة كشأن راضية التي سبقتها، لقد جعلها شغف الحب غيرة إلى حد أن تصبح قاتلة، ذلك أن الحب والزواج الأحادي لا يفترقان في رأيها، الشيء الذي لم يكن مفروغاً منه بالنسبة لزوجها الثاني عز الدين أيبك رجل الجيش القوي. وعندما تزوجته، كانت قد منحته في الواقع عرشاً.

طلق عز الدين زوجته الأولى أم علي⁽²⁾ ولم يكن زواجه من شجرة الدر مجرد معاهدة سياسية، بل

جسد شيئاً أكثر من هذا، وهذا الشيء يدعى الحب، ذلك أن

الحب بالنسبة لشجرة الدر يفرض الوفاء، وهو وفاء فرضته على زوجها الأول، الملك الصالح نجم الدين أيوب حين غدت محظيته.

كانت شجرة الدر فاتنة وذات ذكاء خارق "كانت ذات عقل حاد تستغله في شؤون الدولة". وكانت إلى جانب ذلك تحب القراءة والكتابة "كانت كاتبة وقارئة"⁽⁴⁾، ولذلك عظمت دهشتها حين علمت بأن زوجها الثاني الذي يعود إلى أصل مملوكي تركي مثلها، عازم على الزواج بابنة أحد الملوك. استشعرت الإهانة، وكانت غيرتها شديدة، إلى حد أنها فكرت في القتل، ودبرت خطة نادرة، لقد اختارت لحظة انتشاء، وهي لحظة الختام، وكان اليوم هو الثالث والعشرون من ربيع الأول سنة 655 هـ "حين دخل عز الدين أيك الحمام، كانت شجرة الدر قد دبرت كل شيء، وأعطت أوامرها لجواريتها وخدمها، فأحطن به وقتلته وهو في الحمام"⁽⁵⁾.

زعزع مقتل أيك الجيش، رغم أن فريقاً منه ظل مناصراً لشجرة الدر، إلا أنها اقتنعت إلى البرج الأحمر، واغتيلت في نفس السنة، وقد رمي جسدها نصف عار من فوق مرتفع صخري، وظلت كذلك عدة أيام قبل أن تدفن⁽⁶⁾. وبإمكاننا اليوم أن نزور قبر شجرة الدر في القاهرة، حيث دفنت في ساحة مدرسة كانت قد شيدتها، معروفة اليوم باسم جامع شجرة الدر، وبإمكان الزائر أن يقرأ على حائط المسجد عبارة طويلة، تذكر بحكمها وأمجادها، حيث يعثر على اللقب الذي أحبته "عصمة الدنيا والدين".

هكذا انتهت حياة شجرة الدر السياسية، تلك المرأة التي نجحت في أن تنقسم السلطة مع زوجها الأول الأرستقراطي، وأن تحكم رسمياً ثمانين يوماً دون إذن الخليفة، بعد وفاة زوجها الأول، وأن تتمكن أخيراً من الجمع بين الحب والسلطة مع رجل من طبقتها وجنسها، حيث تنقسم معها الدعاء في صلاة الجمعة وقيادة المملكة قبل أن تستسلم لشیطان الغيرة. استمر تقاسم شجرة الدر وعز الدين أيك العبادة والحكم سبعة سنين، وقد كان بإمكان ذلك أن يستمر، لولا قراره الزواج من ثانية⁽⁷⁾، يذكركم ذلك بأشياء منها العلاقة بين الاستبداد والتعدد، حين تصل امرأة إلى الحكم.

وتكون بالإضافة إلى ذلك جارية، فإن الحجاب يتمزق وينكشف السر ويبدو أن تقاسم الرجل للسلطة بالمساواة بينه وبين المرأة، يفرض عليه بالضرورة الزواج الأحادي، كقاعدة للعبة الحب، يصعب التمييز بين السلوك العاطفي والسياسي، رغم محاولة القيام بذلك، لأنهما حسب ما يبدو يستمدان أسسهما من نفس المنابع.

الهوامش

(1) من الروضة الفيحاء 281.

(2) الزركلي، الأعلام 142/4.

(3) الزركلي، الأعلام 142/4.

(4) ياسين الخطيب العمري، الروضة الفيحاء ص 387.

(5) المقرئزي، ذكر في تراجم إسلامية، ص 92.

(6) المقرئزي نفسه ص 238.

المراجع:

الروضة الفيحاء: 281-282، المستطرف من أثار الجواري: 35-36، أعلام النساء 2 / 680-684، مرآة

الجنان للياضي 4 / 137، النجوم الزاهرة 6 / 307، 331، 308، 332، 333، 364، 368، 372، 373، 379، مرآة

الزمان 8 / 774، الدر المنثور: 255. ديوان ابن مطروح: 181

وانظر: عمر كحالة: أعلام النساء في العالم العربي والإسلام 267/2. خير الدين الزركلي: الأعلام، زينب

فواز العاملي: الدر المنثور في طبقات ربات الخدور. محمد عبد الله عنان: تراجم إسلامية ص 61. علي

إبراهيم حسن: لهن في تاريخ الإسلام نصيب ص 115، ط مكتبة النهضة المصرية. ياسين الخطيب العامري:

الروضة الفيحاء في تواريخ النساء، تحقيق علي عمرة. الدار العالمية، 1987. بدرية أسوك أن: النساء

الحاكمات في التاريخ ص 47، بيبس المنصوري: التحفة الملوكة في الدولة التركية ص 29.

بيرخان بنت الشاه طهماسب

توفيت سنة 984 هـ

طهماسب ابن الشاه إسماعيل بن حيدر بن جنيد بن إبراهيم بن الخوجا علي بن صدر الدين بن صفى الدين بن جبرائيل، ينتهي نسبه إلى الإمام علي رضي الله عنه، وبيرخان هي أخت الشاه إسماعيل لأمه وأبيه، وكانت كاملة العقل، حسنة التدبير، وكان لها أخ من أبيها اسمه حيدر، وأمه مقربة عند الشاه طهماسب، وكان الشاه قد غضب على ابنه إسماعيل وسجنه في قلعة الموت، فخافت زوجة الشاه طهماسب على الملك أن يليه ابن زوجها إسماعيل، وهي التي عملت على حبسه، فعمدت إلى زوجها ووضعت له سُمًّا في النورة، ولما تئور وقعت مذاكيره، وعلم أن ذلك بأمر ولده حيدر، فاستدعاه، وقال له: لم فعلتَ هذا؟ أتظن تتمتع بعدي بالملك؟ وخرج حيدر من عند أبيه، فاستدعى الشاه ابنته بيرخان وخبرها بما فعلته زوجته بأمر ولدها حيدر، وأعطاهما الخاتم، وقال لها: ذكري على هلاك حيدر، واستدعي أخاك إسماعيل من الموت⁽¹⁾، فخرجت بيري خان واستدعت بعض مماليك أبيها، وأرسلتهم إلى داخل خزانة الشاه، وأمرتهم أن يكمنوا إلى أن يأتي حيدر ويقتلوه، فقبلوا وكمنوا، ثم استدعت أخاها حيدر وأعطته الخاتم، وقالت له: امضِ إلى الخزانة وانظر ما فيها. فسار من وقته، فلما حصل في الخزانة لم يشعر إلا بالرجال قد أحرقوا به وضربوه بالسيوف وقتلوه. ومات الشاه طهماسب في ذلك الوقت سنة أربع وثمانين وتسعمائة، ودفن معه ولده حيدر، ثم ركبت بيري خان وسارت إلى قلعة الموت وأطلقت أخاها من الحبس، وفوضت إليه أمر المملكة.

وكان الشاه إسماعيل أولاً شيعياً ثم صار سنياً، وسبب ذلك أنه رأى النبي صلى الله عليه وسلم في المنام وأصحابه الأربعة عنده. فتقدم إلى علي رضي الله عنه، فأعرض عنه، فقال له: لأي شيء يا إمام؟ قال: لبغضك الصديق، فتقدم إلى الصديق واعتذر وتاب، فبشره الصديق رضي الله عنه بالخلاص من الحبس على يد رجل، فلا تجتمع به فإنه يغدر بك، ثم

يأتيك آخر فصدقه، وتوجه معه. فلما مات أبوه أرسل إخوه حيدر يدعوه ليقبض عليه ويقتله، فما قدر، وقتل حيدر، وجاءت أخته بيرخان، فصدق كلامها، وسار معها وجلس على سرير الملك، وصار سنياً وقتل ثم غدر بأخته بيرخان وقتلها سنة أربع وثمانين وتسعمائة.

والغدر من شيم النفوس فإن تجد ذا عفة فلعنة لا يظلم

ولم تطل أيام الشاه إسماعيل، ومات سنة خمس وثمانين وتسعمائة، وقيل: هجم عليه خدام أبيه وقتلوه، حيث خالفهم، وبلغ من قتل في أيامه فكانوا ثلاثين ألف رافضي. وهذا لولا غدره بأخته لحمدت سيرته.

الهوامش

(1) أُلوت: بفتح الهمزة ثم لام مفتوحة وميم مضمومة، وهي من نواحي قزوين. الكامل لابن

الأثير 215 / 10.

المراجع:

■ الروضة الفيحاء: 345 - 346، الكواكب السائرة في أعيان المائة العاشرة 3 / 136، وسماها: بري

خان خانم. الكامل 215 / 10.

المصادر والمراجع

- ❖ الإصابة في تمييز الصحابة: ابن حجر العسقلاني، ط مصر 1939 م.
- ❖ أعلام النساء: عمر كحالة، بغداد 1973 م. و ط دمشق 1395 هـ.
- ❖ الأعلام: خير الدين الزركلي، ط دار العلم للملايين، بيروت 1980 م.
- ❖ الأغاني: أبو الفرج الأصفهاني، ط ساسي، وط دار الكتب المصرية.
- ❖ تاريخ التمدن الإسلامي: جرجي زيدان، ط مصر 1931 م.
- ❖ تاريخ الخلفاء: السيوطي، تحقيق محمد محيي الدين عبد الحميد، ط السعادة، مصر 1959 م.
- ❖ تاريخ الأمم والملوك: الطبري، ط الاستقامة، مصر 1939، وط دار المعارف مصر 1967 م.
- ❖ تاريخ العرب قبل الإسلام: جواد علي، بغداد 1950-1985 م.
- ❖ تاريخ ابن الوردي: عمر بن المظفر الوردي، سماه: تمة لمختصر في أخبار البشر، ط مصر 1285 هـ.
- ❖ التحفة الملوكية في الدولة التركية: بييرس المنصوري.
- ❖ تراجم إسلامية، شرقية وأندلسية: محمد عبد الله عتاز، ط مصر 1947 م.
- ❖ الجامع المختصر، في عنوان التواريخ وعيون السير: علي بن أنجب المعروف بابن الساعي، ط بغداد 1934 م.
- ❖ الحدائق الغناء في أخبار النساء: أبو الحسن المالقي، ط ليبيا وتونس 1978 م.
- ❖ الحصار الإسلامية في القرن الرابع الهجري: آدم متز، ترجمة محمد عبد الهادي أبو ريذة، ط مصر 1947 م.
- ❖ الحور العين: نشوان الحميري، ط مصر 1948 م.
- ❖ الدارس في تاريخ المدارس: عبد القادر العيمي الدمشقي، ط المجمع العلمي العربي، دمشق 1367-1370 هـ.
- ❖ الدر المشور في طبقات ربات الخدود: زينب فواز العاملي، ط مصر 1312 هـ.
- ❖ رسالة في شري الرقيق: ابن بطلان، سلسلة نواذر المخطوطات، لجنة التأليف والترجمة والنشر، القاهرة 1954 م.
- ❖ الروضة الفياحة في تواريخ النساء: ياسين بن خير الله العمري، تحقيق رجاء السامرائي، ط الدار العربية للموسوعات.

- ❖ سطور مع العظيّمات: محمد كامل حسن، ط دار البحوث العلميّة، بيروت 1969 م.
- ❖ شذرات الذهب: ابن العماد: ط القاهرة 1350 هـ.
- ❖ ضحى الإسلام: أحمد أمين، ط مصر 1961 م.
- ❖ ظهر الإسلام: أحمد أمين، ط مكتبة النهضة، مصر 1966 م.
- ❖ المسجد المسبوك في تاريخ دولة الإسلام والملوك: علي بن الحسن الخزرجي الأنصاري، مخطوط في مكتبة الحرم بمكة المكرمة.
- ❖ العلاقة السياسيّة والثقافيّة بين الهند والخلافة العباسيّة: محمد يوسف النجرمي، ط بيروت 1979 م.
- ❖ الكامل في التاريخ: ابن الأثير، ط بيروت، دون تاريخ، وط مصر 1349 هـ.
- ❖ الكواكب السائرة في أعيان المائة العاشرة: نجم الدين الغزي، ط بيروت 1949 م.
- ❖ مرآة الجنان: اليافعي، ط حيدر آباد 1337-1339 هـ.
- ❖ المرأة العربيّة في جاهليّتها وإسلامها: عبد الله عقيقي، ط دار الرائد، بيروت 1982 م.
- ❖ مروج الذهب: المسعودي، ط دار المعارف، بيروت 1983 م.
- ❖ مسالك الأبصار: ابن فضل الله العمري، ط مصر 1924 م.
- ❖ المستنظرف من أخبار الجوّاري: السيوطي، تحقيق صلاح الدين المنجد، ط بيروت 1963 م.
- ❖ المنتظم: ابن الجوزي، ط حيدر آباد، الدكن 1357 هـ.
- ❖ منية الأدباء في تاريخ الموصل الحدياء: العمري، ياسين بن خير الله الخطيب، ط الموصل 1955 م.
- ❖ النجوم الزاهرة في ملوك مصر والقاهرة: ابن تغري بردي، ط دار الكتب المصريّة 1348-1375 هـ.
- ❖ النظم الإسلاميّة: علي إبراهيم وحسن إبراهيم، ط مصر.
- ❖ النساء الحاكمات: بدريّة أسوك
- ❖ نساء الخلفاء المسمّى جهات الأئمة الخلفاء من الحرائر والإماء: ابن الساعي، تحقيق مصطفى جواد، ط دار المعارف، مصر 1993 م.
- ❖ نساء لهن في التاريخ الإسلامي نصيب: علي إبراهيم حسن، مكتبة النهضة المصريّة، القاهرة 1970 م.

- ❖ معج الطيب: المقرئ التلمساني، احمد بن محمد، تحقيق احسان عباس، ط بيروت 1967 م.
- ❖ نهاية الأرب في فنون الأدب: النويري، ط دار الكتب 1925 م.
- ❖ الوافي بالوفيات: الصفدي، تحقيق محمد يوسف نجم، ط دار النشر، فرانز شتاينر 1973 م.
- ❖ يتيمة الدهر: الثعالبي، تحقيق محمد محيي الدين عبد الحميد، ط السعادة، مصر 1956 م.

فهرس الأعلام

(أ)

- إبراهيم بن المدبر: 65.
إبراهيم بن المهدي: 46.
أبن الأثير: 72، 76.
أحمد بن أبي طاهر: 63.
أحمد بن طولون: 8، 70، 71.
أحمد بن العباس (أخو أم موسى القهرمانية): 78.
أحمد بن عبد الله بن أحمد الخصيب: 77.
اختيار الدين، الوالي: 108، 109.
ارمانوس (ملك الروم وزوج تفتانو): 9، 95.
أسماء، أخت الخيزران: 45، 47.
إسماعيل بن صبيح: 55.
الأصفهاني: أبو الفرج: 63.
أفلاطون: 38.
اورليانوس (امبراطور): 29، 31، 32.

(ب)

- بانوكة بنت المهدي: 50.
بدر الدين لؤلؤ: 9، 121.
بدونة زوجة توفيل ملك الروم: 8، 61.
برجوان (مُربي الحاكم بأمر الله): 90.
بركيا روق (ابن السلطان ملك شاه): 99.
بسيل بن ارمانوس: 95.
ابن بطلا: 11، 12، 15.
ابن بطوطة: 105، 107، 109.
أبو بكر الصديق: 42.
بلقيس ملكة سبأ: 7، 21، 22، 24.

أم البنين: 47.

(ب)

يوري من طفتكين: 109.

برخان بنت الشاه طهماسب: 10، 125.

(ت)

تاج الملك بن نظام الملك: 99.

تركان خاتون: 99.

تُج ملك همدان: 23.

التمش (ملك وقائد): 9، 105، 106.

تدورة (عجوز، ساحرة): 35.

تربيلوس: 27.

تركان خاتون (من قبيلة بيارون، زوجة الملك السلجوقي): 9، 99، 113.

من تغري بردي: 73، 85.

تقانو ملكة الروم: 9، 95.

توران شاه ابن الصالح أيوب: 119، 120.

توقيل ملك الروم: 8.

(ث)

تل قهرمانه شغب أم جعفر: 75، 78، 80.

ثومال قهرمانه شغب أم المقتدر: 75، 76.

(ج)

جاليسوس (امبراطور): 29.

جذعة الأبرش: 29، 30.

جعفر المصفي: 84.

جعفر المقتدر بالله العباسي: 75، 77، 78.

جعفر بن الهادي: 51، 53.

جمال الدين بكلك الناصري: 115.

(ح)

الحاكم بأمر الله: 9، 89.

حامد بن العباس: 77.

ابن حزم: 16، 45، 49.

الحكم المستنصر بالله: 8، 83، 84.

حمزة عم النبي عليه السلام: 41.

حيدر أخو بيرخان: 126.

حيدر بن الشاخ طهماسب: 125.

(غ)

خوارزم شاه تكش بن أرسلان شاه: 113

الخيزران (زوجة المهدي ولأم الهادي وهارون الرشيد): 7، 8، 10، 18، 45، 46، 56.

(د)

داود بن سليمان: 23.

دركون بن بطلوس: 36.

أبو دلف العجلي (القاسم بن عيسى العجلي): 63.

دلوكة بنت الزباء: 7، 35، 36.

الدمستق الحاكم: 95.

ابن دؤاس: 92، 93.

(ر)

الراعي بن المقندر: 77.

راضية بنت التتمش: 9، 105، 106، 107، 108.

الربيع بن زياء: 51.

ركن الدين التتمش: 9، 106، 107.

ريدان الصقلي: 90.

زُيد فرانس (ملك الفرنج): 120، 121.

ريطة الأميرة بنت السفاح (زوجة المهدي): 8، 46، 48، 53.

(ز)

الزُباء بنت عمرو بن حيان، ملكة تدمر: 27، 28، 29، 30، 31، 35.

زمرّد خاتون بنت جاولي، زوجة طغتكين الأيوبي: 9، 101، 103.

زنوبيا ملكة (الزباء زينب): 27، 29، 31.

زيدان القهرمانة: 80.

زينب بنت سليمان: 54.

(س)

سابور الملك: 39.

الساطرون الملك: 7.

سان لوي (ملك الفرنسين): 119.

ست الملك بنت العزيز الفاطمية: 9، 89، 90، 91، 92، 93.

سجاح بنت الحارث التميمية: 7، 8، 41.

سعيد بن حميد: 48، 64.

السفاح (عبد الله بن محمد): 46، 48.

سلسل أخت الفيززان: 45، 57.

السلطان محمود بن ترکان خاتون: 99.

سلمة أم المنصور: 16، 50.

سليمان بن شاهنشاه بن أيوب: 9، 10.

سليمان الحكيم: 7، 22، 23، 24، 27.

سان بن ثابت: 75، 78.

سقر الناصر بن الأمير: 115.

سيف الدولة داوس بن سنقر: 91، 103.

(ش)

الشاه إسماعيل: 125، 126.

شاهان مولاة المستنصر بالله: 115.

شجرة الدر جارية الصالح أيوب: 7، 9، 119، 120، 121، 122.

شغب جارية، زوجة المعتضد، وأم المقتدر بالله جعفر: 7، 8، 75، 80.

شمس الملوك إسماعيل: 9، 100.

شمس الملوك بن بوري بن طعتكين: 101.

(ص)

الصالح أيوب: 120.

صالح بن وصيف: 71، 72، 73.
صبيحة زوجة الحكم المستنصر بالله. 8، 83، 85.
الضيزن (الساطرون): 39.

(ط)

الطبري، محمد بن جرير: 16، 46، 48، 55.
طفثكين بن أيوب: 9.
طهماسب بن الشاه إسماعيل: 125.

(ظ)

الظاهر بن الحاكم بأمر الله: 93.
الظاهر لإعرار دين الله: 92.

(ع)

عائشة بنت سليمان: 54.
ابن أبي عامر: 9، 85.
العباس بن الحسن (وزير المقتدر بالله): 69، 78.
العباس بن محمد: 55.
أبو العباس المروزي: 64.
عبد الله بن حمدان أبو الهيجا: 75، 79.
عبد الله بن مالك: 51، 52.
عبد الله بن المعتز: 65، 77، 78.
ابن عبد لربه: 46، 48.
عبد الرحمن الناصر: 83.
عز الدين إيبك: 9، 120، 121، 122.
علي بن بلقيق: 75.
علي بن الجهم: 64، 65.
أبو علي الرازي: 65.
علي بن أبي طالب: 125.
علي بن موسى الوزير: 76.
عماد الدين زنكي: 9، 101.

عمرو بن ضارب بن حسان: 27.

عمرو بن عدي: 30، 31.

عمر بن الفرج الرخبي: 63.

عيسى بن نسطورس: 89.

أبو العيتاء (محمد بن القاسم): 63.

(غ)

غازي بن جبريل: 9، 103.

غطفان أخو الخيزران: 45، 47.

(ف)

فائق المعتصدي: 78.

فخر الدين بن الشيخ: 120.

الفخر الرازي: 24.

أبو الفرج الأصفهاني: 64، 65.

فرعون: 35.

الفصل بن الربيع: 55.

الفصل بن سعيد: 54.

فضل الشاعرة: 8، 63، 65، 70.

الفصل بن عبد الله: 90.

الفضل بن عبد الملك الهاشمي: 78.

الفضل بن يحيى: 54.

فلوتجنس (عالم): 28.

(ق)

القاسم بن عيسى العجلي: 63.

القاهر بالله نحتد بن أحمد: 75.

قبيصة زوجة المتوكل العباسي: 8، 69، 72، 73.

قسطنطين بن إرماتوس: 95.

قصر بن سعد اللخمي: 30، 31.

القضاعي، زيد بن حبيب: 92.

قطب الدين ابيك (السلطان): 105.

(ك)

الكامل بن العادل (ملك): 103.

كمرى سابور: 7، 39.

كليو باترا: 28.

(ل)

لفت الله الغزالي: 12.

لويس التاسع: 28.

(م)

المأمون العباسي: 16، 50، 54.

مؤنس الحادم: 78، 79، 80.

المؤيد بن المتوكل: 71.

المتوكل العباسي، جعفر بن محمد: 8، 10، 15، 16، 18، 50، 63، 64، 69، 70.

محبوبة حارية المعتز: 70.

محمد بن إسحاق بن المتوكل: 78.

محمد بن يوري بن طفتكين: 101.

محسن الطواشي: 120.

محمد بن داود الجراح: 63، 65، 78.

محمد بن سليمان: 54، 56.

محمد شاه بن خوارزم شاه: 113.

محمد بن أبي عامر: 8، 83، 84.

محمد بن عبد الله، رسول الله صلي الله عليه وسلم: 12، 41، 96، 125.

محمد بن عبد الله بن طاهر: 79.

محمد بن الفرج الرخجي: 63.

محمد بن المتوكل (المنتصر): 70.

محمد بن المعتضد (القاهر): 79.

امن المرزبان: 64.

المستعصم بالله: 115.

المستعين بالله: 8، 16، 50، 70، 71.

المستنصر بالله: 105، 115.

المسعود يوسف: 103.

مسيلمة الكذاب: 8، 41، 42.

مصعب بن الزبير: 55.

ابن مطروح: 121.

معاوية بن أبي سفيان: 42.

المعز بن المتوكل: 8، 69، 70، 71، 72، 73.

المعتصم العباسي، محمد بن هارون: 46، 48.

المعتض بالله، أحمد بن طلحة: 75.

المعز إسماعيل بن طفتكين: 9، 103.

المعز عبيق التركماني: 119.

المقتدر بالله، جعفر بن أحمد: 75، 78، 79، 80.

المكتفي بالله، علي بن أحمد: 80.

مكتونة، جارية: 46، 48.

الملك الصلح نجم الدين أيوب: 122.

المنتصر بن المتوكل: 16، 50، 71.

المنصور العباسي، عبد الله بن محمد: 16، 45، 47، 50.

المهتدي محمد بن هارون: 50.

المهدي العباسي، ابن المنصور: 8، 10، 15، 16، 18، 45، 46، 47، 48، 49، 50، 51، 73.

موسى الهادي ابن محمد بن أبي جعفر المنصور: 8، 47، 49، 50، 52، 54، 55.

أم موسى القهرمانة: 76.

ميخائيل توفيل: 61.

(ن)

ناروك الخادم: 79.

الناصر أيوب: 103.

نسيم صاحب السرى: 93.

النضرة بنت الساطرون: 39, 7.

نقفور (ملك الروم): 9, 95.

(هـ)

الهادي، موسى بن محمد، ابن الخيزران: 45, 51, 52, 53.

هارون الرشيد: 8, 12, 15, 18, 45, 49, 50, 51, 54, 55.

هشام بن حكم المستنصر: 8, 83, 85.

هشام بن عبد الملك: 46.

هوميروس: 38.

(و)

وجيه الدين الكاساني، قاضي القضاة: 105.

وحشي بن حرب الحبشي، قاتل حمزة: 41.

ابن الوردي، عمر بن المطهر: 41.

(ي)

ياقوت بن عبد الله المستعصي: 108.

ياني بن شمشقيق (ملك الروم): 9, 95.

يحيى بن الحسن: 54, 55.

يحيى بن خالد: 53.

يزيد بن علي: 46.

الكتب الصادرة للمؤلف

- 1- الإسلام والشعر. مكتبة النهضة، بغداد 1964
- 2- شعر المخضرمين وأثر الإسلام فيه. مكتبة النهضة، بغداد 1964، مؤسسة الرسالة، بيروت 1981، 1983، 1990
- 3- ديوان العباس بن مرداس السلمي. وزارة الإعلام، بغداد 1968 مؤسسة الرسالة، بيروت 1992
- 4- الجاهلية (مقدمة في الحياة العربية لدراسة الشعر الجاهلي) مطبعة المعارف، بغداد 1968
- 5- شعر النعمان بن بشير الأنصاري. مطبعة المعارف، بغداد 1968، دار القلم، الكويت 1985
- 6- شعر عروة بن أذينة. مكتبة الأندلس بغداد 1970 دار القلم، الكويت 1981، 1983
- 7- لبيد بن ربيعة العامري. مكتبة الأندلس، بغداد 1970، دار القلم، الكويت 1981
- 8- شعر المتوكل الليثي. مكتبة الأندلس، بغداد 1971
- 9- شعر العارث بن خالد المخزومي. مطبعة النعمان، النجف 1972، دار القلم، الكويت 1983
- 10- الشعر الجاهلي خصائصه وفنونه. دار التربية، بغداد 1972، مؤسسة الرسالة، بيروت 1997، 1985، 1990، 1995، 2000 جامعة قار يونس، بنغازي 1993
- 11- شعر عبدة بن الطبيب. دار التربية، بغداد 1972
- 12- شعر عبد الله بن الرزير الأسدي. وزارة الإعلام، بغداد 1974
- 13- شعر أبي حية النميري. وزارة الثقافة، دمشق 1995
- 14- شعر عمرو بن شاس الأسدي. مطبعة الآداب، النجف 1976 دار القلم، الكويت 1983
- 15- شعر عمر بن لجا التميمي. مطبعة الحكومة، بغداد 1976 دار القلم، الكويت 1981
- 16- الحيرة ومكة وصلتهما بالقبائل العربية. (ترجمة عن الإنكليزية). منشورات جامعة بغداد 1976
- 17- ديوان الطغراني (بالمشاركة). مطبعة الحكومة، بغداد 1976 دار القلم، الكويت 1983.

- 18- شعر هدية بن الخشرم العذري. وزارة الثقافة، دمشق 1976 دار القلم، الكويت 1985
- 19- أصول الشعر العربي، د.س. مرجليوث، (ترجمة عن الإنجليزية). مؤسسة الرسالة، بيروت 1978، 1981، 1988 جامعة بنغازي 1994
- 20- عبد الله بن الزبير، حياته وتحقيق شعره. معهد المخطوطات العربية، القاهرة 1978 مؤسسة الرسالة، بيروت 1981
- 21- كتاب المحن - لأبي العرب التميمي، (تحقيق) دار الغرب الإسلامي، بيروت 1983، الطبعة الثانية 1988، الطبعة الثالثة 2006.
- 22- ديوان أحمد بن يوسف الجابر، (بالمشاركة) دراسة وتحقيق. مركز الوثائق، جامعة قطر 1984.
- 23- الزينة في الشعر الجاهلي. دار القلم، الكويت 1984.
- 24- قصائد جاهلية نادرة، (دراسة وتحقيق). مؤسسة الرسالة، بيروت 1982، 1988.
- 25- شعر خدش بن زهير العامري، (دراسة وتحقيق). مجمع اللغة العربية، دمشق 1976.
- 26- الأقوال الكافية والفصول الشافية (في الغيل) دار الغرب الإسلامي، بيروت 1987.
- للملك الرسولي (تحقيق).
- 27- الملابس العربية في الشعر الجاهلي. دار الغرب الإسلامي، بيروت 1989.
- 28- كتاب الردة للواقدي، (تحقيق). دار الغرب الإسلامي، بيروت 1990.
- 29- كتاب الفاضل في صفة الأدب الكامل، للوشاء (تحقيق). دار الغرب الإسلامي، بيروت 1991.
- 30- منهج البحث وتحقيق النصوص. دار الغرب الإسلامي، بيروت 1993.
- 31- الخط والكتابة في الحضارة العربية. دار الغرب الإسلامي، بيروت 1993.
- 32- أمالي المرزوقي، (تحقيق) دار الغرب الإسلامي، بيروت 1995.
- 33- المستشرقون والشعر الجاهلي (بين الشك والتوثيق). دار الغرب الإسلامي، بيروت 1997.
- 34- الكتاب في الحضارة الإسلامية. دار الغرب الإسلامي، بيروت 1998.
- 35- كتاب المتدخل للميكالي، (تحقيق). دار الغرب الإسلامي، بيروت 2000.

- 36- محمد بن عبد الملك الزيات، سيرته، أدبه، تحقيق ديوانه. دار البشير، عمان، 2002.
- 37- المحاضرات والمحاورات للسيوطي. (تحقيق) دار الغرب الإسلامي، بيروت 2002.
- 38- محن الشعراء والأدباء وما أصابهم من السجن والتعذيب والقتل والبلاء. دار الغرب الإسلامي، بيروت 2003.
- 39- مسالك الأبيصار في ممالك الأمصار. لأحمد بن فضل الله العمري (تحقيق). المجلد العاشر. المجمع الثقافي، أبو ظبي، الإمارات العربية المتحدة 2003.
- 40- مسالك الأبيصار في ممالك الأمصار. لأحمد بن فضل الله العمري (تحقيق). المجلد الرابع والعشرون. المجمع الثقافي، أبو ظبي، الإمارات العربية المتحدة 2004.
- 41- الشعر الإسلامي والأموي. دار البشير، عمان، 2005.
- 42- الغزل العذري. دار البشير، عمان، 2005.
- 43- المجموع اللغيف (تحقيق). للفاضي الأقطمي للحسيني. دار الغرب الإسلامي، بيروت 2005.
- 44- مجالس العلماء والأدباء والخلفاء. مرآة للحضارة العربية الإسلامية. دار الغرب الإسلامي، بيروت 2005.
- 45- بيت الحكمة ونور العلم في الحضارة الإسلامية. دار الغرب الإسلامي، بيروت 2006.
- 46- الحنين والغربة في الشعر العربي. دار مجدلاوي - عمان، 2007.
- 47- مؤنس الوحدة لابن الأثير تحقيق. دار مجدلاوي - عمان، 2008.
- 48- كتاب التحف والأنوار من البلاغات والأشعار للشعبي. دار مجدلاوي - عمان، 2008.
- 49- مع المخطوطات العربية. دار مجدلاوي - عمان، 2009.
- 50- في رحاب التراث. دار مجدلاوي - عمان، 2009.
- 51- أخبار وأشعار وآداب ونوادر وحكم. دار مجدلاوي - عمان، 2010.
- 52- النساء الحاكمات. دار مجدلاوي - عمان، 2010.

منتدى سور الأزبكية

WWW.BOOKS4ALL.NET